وزارة التعليم العالي و البحث العلمي
جامعة محمد خيضر - بسكرة -
كلية الآداب و اللغات
قسم : الآداب و اللغة العربية

الاتجاه المحدث في شعر ابن عبد ربه

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر في الأداب و اللغة العربية
تخصص أدب عربي قديم

إعداد الطالبة :

- رزقي نصيرة

إشراف الأستاذة

- شيتر رحيمة

السنة الجامعية

1433 هـ / 1434 هـ

2012 / 2013 م

بسم الله الرحمن الرحيم

دعاء

اللهم إني أسألك فهم النبيين وحفظ المرسلين والملائكة المقربين، اللهم أخرجنا من ظلمات الوهن، وأكرمنا بنور الفهم، وافتح علينا بمعرفة العلم، وحسن أخلاقنا بالحلم، وافتح علينا أبواب جودك وخزائن رحمتك يا أرحم الراحمين.اللهم اجعل ألسنتنا عامرة بذكرك وقلوبنا بخشيتك وأسرارنا بطاعتك.انك على كل شيء قدير وحسبنا الله ونعم الوكيل .

(رَبَّنَا لاَ تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلاَ تَحْمِلْ عَلَيْنَا

إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلاَ تُحَمِّلْنَا مَا لاَ

طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنتَ مَوْلاَنَا

فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ)

شكر وعرفان

- أولا و قبل كل شيء ، نحمد الله تعالى و نشكره أن مدنا بالعون و العناية و أعطانا من الصبر ما يخفف علينا عناء الأيام و سهر الليالي .
- أتقدم بأسمى عبارات التقدير و الاحترام إلى من تقدم إلي بقبول الإشراف على هذا البحث و كان سراجا أنار لي طريقي بنصائحها السديدة و توجيهاتها القيمة الأستاذة " شيتر رحيمة " و إلى كل الأساتذة الذين أشرفوا على تكويني ، و إلى كل من ساعدني في مشواري الدراسي و إلى كل المسؤولين في كلية الآداب و اللغات و خاصة رئيس قسم الأدب العربي .
- إلى كل هؤلاء تحية تقدير و اعتزاز و عرفان مني .

" شكـــــــــرا "

الفهـــــــــــــــرس **الصفحـــة**

شكر و عرفان ..... ( )
مقدمة ..... (ا)
المدخل : البيئة الأندلسية في عصر الإمارة ..... (3)
1- البيئة الاجتماعية ..... (4)
2- البيئة السياسية ..... (7)
3- البيئة الاقتصادية ..... (9)
4- البيئة الثقافية و العلمية ..... (11)
5- البيئة الفنية ..... (13)
الفصل الأول : الشعر و شعره ..... (16)
1- التعريف بالشاعر ..... (21)
2- التعريف بشعره ..... (29)
الفصل الثاني : الاتجاه المحدث..... (31)
1- التعريف الاتجاه المحدث ..... (35)
2- الأغراض المحدثة..... (48)
3- التجديد في البيئة ..... (56)
الخاتمة ..... (58)
قائمة المصادر والمراجع ..... (60)
الفهرس..... (62)

البيئة الاجتماعية

عناصر الشعب الأندلسي

يتكون المجتمع الأندلسي من أجناس متعددة يتباينون في عقائدهم و عاداتهم ففيهم العرب و البربر و الصقالبة ، و اليهود و الأسبان سكان البلاد الأصليين ، ثم العرب منهم العدنانيون و القحطانيون و كذلك البربر ينتمون إلى الوافدة و المسيحي الذي ظل على مسيحيته [1] .

- سنحاول هنا التعريف بإيجاز إلى مكونات المجتمع الأندلسي هذه العناصر التي ساعدت على صنع حياته الفكرية العلمية منها و الأدبية و هي خمسة .
- العرب ، البربر، الموالي و المولدون ، أهل الذمة من يهود و نصارى .

سيكون الحديث في بادئ الأمر عن العرب :

فبالرغم من أن التجانس البشري لم يحصل في فترة سريعة بسبب الصراع [2] ، إلا أن العرب كانوا يحسون بنوع من الأرستقراطية نابع من غلبتهم على الأسبان و البربر و إدخالهم في الإسلام و كذلك من لغتهم التي تفوق غيرها ، و لعل شعور التعالي ، هو ما كان يولد ثورة البربر عليهم [3].

- دخل العربية الأندلس على شكل موجات ، و انتشروا في أقاليمها المختلفة و كانوا يمثلون أكثر القبائل ، العدنانية منها و القحطانية [4].

يقول المقري " و أعلم أنه لما استقر قدم أهل الإسلام بالأندلس و تتام فتحها ، صرف أهل الشام و غيرها من العرب همهم إلى الحلول بها ، فنزل بها حراثيم العرب وسادائهم جماعات أورثوها أعقابها إلى أن كان أمرهم ما كان " [5] .

- و رغم هذه لكثرة للعرب في الأندلس إلا أنهم حافظوا على نسبهم القبلي ، يدعهم في ذلك استقرارهم في المناطق الخصبة التي تفيض بالخيرات ، و بهذا استطاعوا أن يكونوا نواة

---

[1] محمد سعيد محمد دراسات في الأدب الأندلسي منشورات جامعة سبها – ط1 ، 2001 ، ص 45 .
[2] المرجع نفسه ، ص 45 .
[3] عبد العزيز عتيق الأدب العربي في الأندلس دار النهضة العربية د ط ، د ت ، ص 133 .
[4] ابن حزم ، جمهرة انساب العرب ، تحقيق عبد السلام هارون ، دار المعارف ، القاهرة ، 1962 ، ص 290 .
[5] شهاب الدين أحمد بن محمد المقرى ، أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض تحقيق إبراهيم الأبياري – مطبعة لجنة التأليف و الترجمة – القاهرة ، ج2 ، ص 108 .

الأرستقراطية و يشير المقري إلى ذلك بقوله " و كان عرب الأندلس يتميزون بالقبائل و العمائر و البطون و الأفخاذ ، إلى أن قطع ذلك المنصور ابن أبي عامر الداهية الذي ملك سلطنة الأندلس و قصد بذلك تشتيتهم و قطع التحامهم حتى تعصبهم ، و قدم القواد على الأجناد فيكون في الجند الواحد فرق من كل قبيل ، فانحسمت مادة الفتن بالأندلس إلا ما جاء على غير هذه الجهة " [1] .

يتضح في هذه المقولة أن العرب كانوا يمتلكون أقطاعات كبيرة ، فقد أصبحت الأندلس عامرة بمن دخلها من العرب .

إذا العرب كانوا قلة لكنهم أخذوا في التكاثر و الانتشاره هذا بفعل الاستيطان و الهجرة .

البربر : كانوا يمثلون الأغلبية الساحقة في جيش طارق ابن زياد انتقل بعضهم إلى الأندلس بعد سماعهم نبأ انتصار المسلمين على القوط و هكذا فاق البربر العرب بأعداد هم ، و قد كان البربر أكثر اطلاعا و معرفة بالمنطقة بحكم معيشتهم في الشمال الإفريقي المجاور [2].

- و يعتبر البربر سكان المغرب و من قبائلهم زناتة و صنهاجة أما ديانتهم فقد أثبت البحث أنهم كانوا يدينون بالوثنية كعبادة الكائنات و الظواهر الطبيعية ، ثم تلا بعد ذلك وجود اليهودية و لم يعتنقوها رغم سبقها للمسيحية التي اعتنقها القلة منهم [3].

لكن تدينهم كان انتشاره ضعيفا بدليل أن العرب المسلمين لم يجدو صعوبة في اجتذاب البربر إلى الإسلام ، حتى صاروا من أشد الناس تعصبا له و دفاعا عنه .

من الناحية العقلية كانوا يجتهدون في التعرب و من الناحية المعاشية ارتبطوا بجيرانهم من أهل البلاد عن طريق المصاهرة ، و كانوا أسرع اندماجا في العرب في البيئة الجديدة [4].

---

[1] شهاب الدين أحمد بن محمد المقرى ، أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض ، ص 109 .
[2] عبد الواحد ذنون طه ، تاريخ العرب و حضارتهم في الأندلس المدار الإسلامي ، ط1 ، 2004 ، ص 80 .
[3] عباس الجراري – الأدب المغربي من ظواهره و قضاياه ، مطبعة المعارف الجديدة ، الرباط ، 1986 ، ص 20 .
[4] عبد العزيز عتيق – الأدب العربي في الأندلس النهضة العربية ، دط ، د ت ، ص 134 .

المولدون :

كان الفاتحون البربر و العرب قد دخلوا الأندلس في شكل جنود و بقوافي هذه البلاد الجديدة خلال السنين الأولى ، و أقبلوا على مصاهرة الأسبان ، أهل البلاد و مضوا على هذا النحو يتزوجون من الأسبانيات ماشاءوا ، و عاشروا أهل البلاد و جاوروهم ، وعن طريق العشرة و المجاورة و المصاهرة انتشر الإسلام في الأندلس [1] .

- إذا المولدون هم العنصر الناشيء من تزاوج العرب بالبربر أو العرب و الأسبانيات و الصقالبة و قد ظل اسم " المولدون " يطلق على هذا العنصر حتى نهاية القرن الثالث الهجري و من صفات المولدون من النساء الأسبانيات الشجاعة ، الذكاء و الجمال [2] .
- و قد أعجب العرب بالزواج من الأسبانيات و البربريات بسبب الجمال و بياض البشرة و اصفرار الشعر و زرقة العيون و هي صفات يحبها العربي لأنها جديدة عليهم [3].

أهل الذمة :

و هم الأسبان الذين بقوا على مسحيتهم و لم يدخلوا في الإسلام و هؤلاء يرون أن البربر و العرب دخلاء عليهم و أنهم أحق بملك بلادهم [4] .

و كان عددهم أكثر بكثير من عدد المسالمة و االمولدون أول الأمر ثم لم يزل عدد هؤلاء يزداد حتى أصحو معظم سكان الأندلس [5] .

لقد كان العرب متسامحين مع أهل الذمة فتركوهم يمارسون شعائر دينهم في حرية تامة حتى الكنائس التي يبهجها قرع النواقيس و عاملوهم معاملة طيبة .

فنجد ابن حزم ينظم في النواقيس لقرعها فيقول :

- **أتيتني و هلال الجو مطلع * فبيل قرع النصارى للنواقيس [6] .**

---

[1] جودت الركابي – في الأدب الأندلسي ، دار المعارف ، مصر ، ط4 ، 1975 ، ص 35 .
[2] عبد العزيز عتيق – الأدب العربي في الأندلس ، ص 134 .
[3] المرجع نفسه ، ص 135 .
[4] أحمد أمين – ظهر الإسلام ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ط5 ، 1969 ، ج3 ، ص 2 .
[5] المرجع نفسه ، ص 2 .
[6] ابن حزم الأندلسي – طوق الحمامة ، تحقيق أحمد مكي ، دار المعارف ، مصر ، ط3 ، 1980 ، ص 193 .

و بهذا التسامح الذي أبداه المسلمون تجاه أهل الذمة من نصارى الأندلس ، أسلم الكثير منهم و أقبل على تعلم اللغة العربية التي مكنتهم من دراسة الشعر العربي و نثره [1].

- أسلم الكثير منهم على طواعية ، فقل عددهم و أصبحوا موزعين على مدن الأندلس ، فتمتعوا بعطف الخلفاء ، و شغل الكثير منهم مناصب هامة في الإدارة [2].

الصقالبة :

إلى جانب هذه العناصر نجد الصقالبة و هو اسم أطلقوه على أسرى الحرب ، و على من وقع في أيدي المسلمين من الرقيب ، و قد أطلق المؤرخون و الجغرافيون المسلمون اسم الصقالبة على الشعوب التي كانت تقطن الأراضي الممتدة بين الآستانة و بلاد المجر [3] .

- استغلت هذه العناصر ضعف حكومة قرطبة بعد وفاة عبد الرحمان الثاني و أخذ كل عنصر يستقل بناحية من الأندلس فالمولدن كانوا و دويلات مستقلة عن قرطبة منهم " بنو قيس" و " بنو مروان " و " بنو حفصون " .

أما زعماء البربر الذين استقلوا في قرطبة تذكل منهم : " بنو ذي النون " " و بنو الملاخ " .

أما زعماء العرب الذين استقلوا عن قرطبة نذكر منهم : " بنو حجاج في أشبيليا و كانوا عرب من قبيلة لخم اليمنية عاش في كنفهم مجموعة من الشعراء و الكتاب نذكر منهم أحمد بن عبد ربه توفي عام(940 م) [4].

البيئة السياسية :

- بعد انهيار الخلافة الأموية في المشرق استطاع الشاب الطموح عبد الرحمان بن معاوية أن يغلب من سيوف العباسيين ، و يتوجه متخفيا إلى المغرب الإسلامي ، و يعبر إلى البحر إلى الأندلس يعيد بعث الدولة الأموية من جديد ، و قد استطاع هذا الأمير بفضل ذكائه أن يستغل الفتن التي كانت تجتاح الأندلس لصالحه في القضاء على مناوئيه ، و بذلك وطد دعائم دولته

التي توارثها أبناؤه من بعده و قد امتدت فترة الإمارة بين سنتي 138 – 300 هـ [1].

---

[1] السيد عبد العزيز سالم – تاريخ المسلمين و آثارهم في الأندلس من الفتح إلى سقوط الخلافة ، دط ، دت ، ص 132 .
[2] ابن الآبار – اعتاب الكتاب ، تحقيق صالح الأنشر ، مجمع اللغة العربية ، دمشق ، 1961 ، ص 212 .
[3] أحمد مختار العبادي الصقالبة في الأندلس – المعهد المصري للدراسات مدريد ، 1953 ، ص 8 .
[4] أحمد مختار العبادي في تاريخ المغرب و الأندلس ، دار المعرفة الجامعية ، د ط ، 2005 ، ص 121 .

و أهم ما تمتاز به من الناحية السياسية ، أنها كانت فترة علاج لكثير من الأمراض التي عاناها الحكم الأندلسي ، فقد زفد الداخل على الأندلس ، و بها القبائل العربية المتنازعة على السلطان ، و بها أيضا جماعات البربر الناقمة على العرب ، وبالإضافة إلى العرب و منازعتهم و البربر نقمتهم ، كان يوجد المسحيون اللائذون بالمناطق الشمالية من شبه الجزيرة ، ثم ..... و كان هؤلاء يحتقرون لمطاردة المسلمين لأنهم – في زعمهم – يمثلون خطرا لا على أسبانيا و حدها على أوربا كلها [2].

من أجل هذا قضى عبد الرحمان الداخل كل سنى حكمه تقريبا في كفاح داخلي و جهاد خارجي فقلل من شأن الأستقراطية العربية باستخدام غير العرب و اصطناع الموالي و قضى على الزعامة القبلية بالتخلص من كل من تحدثة نفسه بالثورة أو التمرد ، حاول ما استطاع أن يؤمن حدود الدولة الإسلامية في الأندلس ضد مسيحي الأسبان و الفرنج ، بقيادة الجيوش و تسيير الحملات [3].

- بعد أن تولى الامير محمد بن عبد الرحمان الإمارة واجه أول ثورة من قبل أهل طليطلة ، فقد ثارت قرطبة و قام أهلها بسجن عامل الأمير ، مقابل أن يطلق الأمير رهائنهم من سجن قرطبة فوافق الأمير و لم يكتفوا فهجموا على قلعة رباح ، فاستطاع الأمير استرجاع القلعة و أمر ببناء سورها و أرجع من هرب منها .

كما جهز الأمير قائديه ليسر على " شندلة " فباغتتهم قوات من طليطلة فلم يتردد بإسعافهم بكل الوسائل [4] ، إذا هذه الفترة من الناحية السياسية كانت فترة علاج لكثير من ادوار الحكم التي عانتها الأندلس من قبل ، و قد كان لهذا العلاج مقتضياته من البتر حينا و من إسالة الدم حينا آخر [5].

و هكذا شهدت هذه الفترة بعض الحروب و أعمال العنف، و لكنها كانت في سبيل الاستقرار السياسي الذي خلف تقدما و أمنا، و لم تكن المسألة مسألة منازعات و حروب تخلف ضياعا تعويقا كالفترة السابقة [6].

---

(1) الربعي بن سلامة – الأدب المغربي و الأندلس بين التأسيس و التأصيل و التجديد ، دار بهاء الدين ، ط1 ، الجزائر ، 2009 م ، ص 23 .
(2) أحمد هيكل الأدب الأندلسي من الفتح إلى سقوط الخلافة ، دار المعارف ، ط14 ، د ت ، ص 74 .
(3) المرجع نفسه ، ص 74 .
(4) وديع أبو زيد – تاريخ الأندلس من الفتح الإسلامي حتى سقوط الخلافة في قرطبة ، دار الأهلية للنشر و التوزيع ، ط1 2005 ، ص 221 .
(5) أحمد هيكل – الأدب الأندلسي من الفتح إلى سقوط الخلافة ، ص 76 .
(6) المرجع نفسه ، ص 76 .

البيئة الاقتصادية :

تنظيم الإدارة في قرطبة : يعتبر الأمير عبد الرحمان الثاني أول من جرى على ستن الخلفاء في الزينة و الشكل و ترتيب الخدمة و أبهة الجلالة [1].

نظام الوزارة : في حين لم تعرف بغداد سوى وزير واحد إلى جانب الخليفة العباسي ، فإنه جعل لكل ناحية من نواحي الإدارة وزيرا مختصا و كان وزراء تسعة .

حفظ الأمن : كان صاحب السوق يتولى حفظ الأمن داخل العاصمة قرطبة فعهد الأمير إلى توزيع صلاحياته على أربعة توطيد الأمن و هم صاحب السوق الذي اقتصر عمله على مراقبة الأسواق و صاحب الشرطة ، للنظر في مشاكل العامة ، و صاحب المدينة [2].

دار السكة : الأمير عبد الرحمان الثاني أول من ضرب نقودا أندلسية باسمه عندما انشأ دار جديدة للسكة في قرطبة فقد كانت النقود قليلة التداول و كلها مضروبة في الأقاليم التابعة للخلافة العباسية كما كانت الأندلس قبل عهده تعتمد على المقايضة في التجارة [3].

المنشآت المعمارية :

تألقت قرطبة منذ أن اتخذها عبد الرحمان الداخل عاصمة له و لأبنائه و أحفاده من بعده و أصبحت في عهده الحياة الرفيعة ، و مصدر الحضارة السامية ، و كانت أكثر مدن أوربا سكانا فقد بلغت في عهد الدولة الأموية تطورا عمرانيا حيث قال الحجازي عن قرطبة " حضرت قرطبة منذ افتتحت الجزيرة ، هي كانت في منتهى الغاية ، و مركز الراية و أم للقرى " ففي مجال العمارة ، كان جامع قرطبة مركز للحج في الأندلس و لقد مر بناء جامع قرطبة بعدة مراحل كانت أولها في عهد الأمير عبد الرحمان الداخل عام 169 هـ و بعده عبد الرحمان بن الحكم سنة 206 هـ الذي أضاف إلى الجامع بلاطين جانبيين ثم مد بلاطات الجامع كلها جنوبا مسافة 26 مترا [4].

اشتهرت قرطبة بقصورها الفخمة و التي كانت تقام عادة في الضواحي خارج المدينة فيما عدا قصر الإمارة و من قصور قرطبة الرصافة قصر دمشق ، و قصر الزهراء ، و القصر الفارسي كما

---

[1] عصام محمد شبارو – الأندلس من الفتح العربي المرصود إلى الفردوس المفقود ، دار النهضة العربية ، لبنان ، ط1 ، 2002 ، ص 136 .
[2] المرجع نفسه ، ص 137 .
[3] وديع أبو زيدون تاريخ الأندلس من الفتح الإسلامي حتى سقوط الخلافة في قرطبة ص 243
[4] المرجع نفسه ، ص 244 .

اشتهرت قرطبة بالحمامات العامة ، و لم يبقى منها سوى بقايا حمامين : الأول يقع في شارع الحمام و الثاني في شارع كوميدياس [1].

كما اهتم حكام الأندلس ببناء السدود و القناطر على الويديان و لعل أشهر القناطر التي أقيمت على النهر " قنطرة قرطبة "، اهتم المسلمون بترميم هذه القنطرة لربط مدينة قرطبة بربضها القبلي [2].

- عرفت الأندلس في عهد الناصر كذلك بأنها أغنى دولة في العصور الوسطى نتيجة ازدهار الزراعة و الصناعة و التجارة و كثرة أموال الغنائم و الأخماس ، و دخلت البلاد طورا من الرخاء و الغنى لم يسبق أن وصلته في عصورها السابقة [3].

و الأندلس بلد زراعي قبل كل شيء ، و كان الخراج و الجزية و الأخماس هي المصادر الرئيسية لخزينة الدولة ، و بدأت الزراعة بالازدهار نتيجة اهتمام الدولة بهذا المورد المهم ، فحسنت أحوال العمال الزراعيين ، و أسقطت بعض الضرائب عن المزارعين و هيأت لهم صروفا زادت من استغلال الأرض ، و زيادة الإنتاج ، و اشتهرت الأندلس بزراعة القمح و الزيتون و أنواع الفواكه [4] فضلا عن غابتها التي تعد مصدرا من مصادر الثروة و مادة أولية تدخل في كثير من الصناعات الخفيفة و الثقيلة و الثروة الحيوانية و السميكة [5].

- استغل الأندلسيون الثروات الطبيعية فاستخرجوا المعادن المختلفة كالذهب و الفضة و الرصاص و الحديد و الزئبق .و البلور و الكبريت و الملح [6].

إلى جانب هذه القصور و الأبنية الفخمة ، و الزخرفة البالغة نجد في الأندلس عددا كبيرا من البرك و الرياض الأنيقة و الأودية المتحولة إلى منتزهات ساحرة [7].

فهنالك وادي الطلح ووادي " العروس " قرب اشبيلية ، و هنالك حور المؤمل " ينشر أغصانه المرتجفة ، و هنالك السدود و النواعير و الفوارات ، و هكذا أصبحت الأندلس ميدانا واسعا للعيش الرخى

---

[1] وديع أبو زيد – تاريخ الأندلس من الفتح الإسلامي حتى سقوط الخلافة في قرطبة ، ص 244 .
[2] رضوان البارودي – دراسات و بحوث في تاريخ و حضارة المغرب و الأندلس ، مركز الإسكندرية للكتاب ، دط ، 2007 ص 423 .
[3] المرجع نفسه ص 421 .
[4] ناطق صالح مطلوب – تاريخ العرب و حضارتهم في الأندلس ، دار الأهلية ، دط ، دت ، ص 179 .
[5] المرجع نفسه ص 179 .
[6] المرجع نفسه ص 179 .
[7] حنا الفاخوري – الموجز في الأدب العربي و تاريخه ، ج3 ، الأدب في الأندلس ، و المغرب أدب الانحطاط دار الجيل ، بيروت ، ط2 ، 1991 ، ص 27 .

مع ما اعتور البلاد من فتن و اضطرابات لسياسية ، و كثيرا ما رأى الناس فيها جنة نعيمهم حتى قال ابن خفاجة :

يا أهل أندلس لله دركم ماء وظل و انهار و أشجار
ما جنة الخلد إلا في دياركم و لو تخيرت هذا كنت أختار[1]

و قد حذقوا كذلك في صناعة النسيج النفيس و كذلك معالجة الأحجار الكريمة [2].

فاستعملوها لزينتهم فكانت أقراطا في الأذان ، و قلائد و عقود و أساور في المعاصم ، خواتم في الأصابع ، و هذا راجع لوفرة الجواهر .

- أما التجارة فقد كانت من عماد الاقتصاد في الأندلس و كانت المرية و مالثة من الموانئ التي شهدت تبادلا تجاريا مع أقطار أخرى ، كانت حصة الدولة جباية الرسوم التجارية المقررة في ذلك الوقت[3] .

البيئة الثقافية و العلمية :

لقد شهدت الأندلس نهضة حضارية شاملة و كانت العاصمة قرطبة أهم الحواضر التي احتضنت معطيات النهضة الحضارية بوصفها المدينة الأم ، و مقر الفنون و الأدب و العلوم و العمران[4].

هذه النهضة أدت إلى تنفس فكري و أدبي جليل الشأن بعيد الأثر فقد راجت الثقافة في الأندلس و عززها الحكام ، و عملوا على إنشاء المعاهد العلمية في المدن و القرى و ساعدوا على نقل ما صنف في الشرق العباسي و نشره في الغرب ، و الحكم من أشهر الخلفاء اهتماما بالقضية الثقافية " وقد كان عالما محبا للعلم و العلماء " و أبتنى سبعا و عشرين مدرسة يتعلم فيها أحداث العاصمة مجانا و في عهده ازدهرت " جامعة قرطبة " ، و أصبحت في عداد معاهد العلم الراقية في العالم العربي و قصدها الطلاب من نصارى و مسلمين و اسبانيا ، و من بلدان أوروبية أخرى [5].
ووسع الحكم نطاق المسجد الجامع الذي عقدت حلقات التدريس الجامعي فيه [6].

---

[1] حنا الفاخوري – الموجز في الأدب العربي و تاريخه ، ج3 ، الأدب في الأندلس ، و المغرب أدب الانحطاط ، ص 28 .
[2] عصام محمد شبارو – الأندلس من الفتح العربي المرصود إلى الفردوس المفقود ، ص 183 .
[3] المرجع نفسه ص 184
[4] وديع أبو زيدون ، - تاريخ الأندلس من الفتح حتى سقوط الخلافة في قرطبة ، ص 234 .
[5] حنا الفاخوري – الموجز في الأدب العربي و تاريخه ، ص 33 .
[6] المرجع نفسه ، ص 33 .

الحكم كان له دور فعال في البيئة الثقافية فكان طالبا للعلم محبا له و عمل على نشره .

- اهتم أمراء بني أمية و خلفاؤهم بالعلم و العلماء و بخاصة الشعراء لأن جلهم كانوا يقرضون الشعر فعبد الرحمان بن الحكم كان فصيحا مفوها شاعرا مع سعه العلم و الحلم ، و له شعر في الغزل و الذخر عبد الرحمان الثالث كان شاعرا و له مجالس أدبية مع الشعراء منهم أحمد بن محمد بن عبد ربه [1].

كان الحكم يستدعي إلى جامعته أساتذة من المشرق ، و من أساتذتها المؤرخ " ابن القوطية " الذي درس النحو و الفقيه البغدادي المشهور " أبو علي التالى " صاحب كتاب " الأمالي "هو أول واضع لأساس الثقافة المشرقية بالأندلس في اللغة و الأدب مع " أبي العلاء " [2] ، ثم نشأت طائفة تؤلف كما ألف " التالي " منهم أحمد بن عبد ربه ، صاحب كتاب " العقد الفريد " فقد اختار في كتابه زبدة أدب المشرق ، واعتمد على كتبهم ، و لاسيما كتاب " عيون الأخبار " لابن فتية و كان قصده من وراء تأليف كتاب العقد أن ينقل إلى الأندلس أدب المشارقة [3] ، بالإضافة إلى هذا رجوع أول فوج من الأندلسيين الدارسين في المشرق ، فقد مثلوا بعثات خارج الوطن ، ثم يعودون ليشيعوا ما تعلموه في وطنهم و بين أهاليهم [4].

من أمثلة هؤلاء العائدين بعلم المشرق في فترة تأسيس الإمارة الغازي بن قيس الذي نقل موطأ الإمام مالك ، أبو موسى الهوارى عبد المالك بن حبيب و يحيى بن الليثي [5].

- كان الحكم محبا للكتب جامعا لها ، فسير عملاءه إلى الأمصار يجولون بين مكاتب الإسكندرية و دمشق و بغداد قصد إتباع المخطوطات أو نسخها ، فبلغ عدد ما جمع من الكتب أربع مئة ألف [6].

و كان من نتائج هذه الرحلات التي قام بها العلماء و طلبة العلم ، العودة بوصية علمية تلقوها على أيدي عدد من العلماء في كافة التخصصات من علوم العربية ، اللغة و النحو و الفقه و الحديث ، و علوم القرآن و الأدب شعرا و نثرا و بعد عودتهم سارعوا للتدريس منذ القرن الثالث

---

[1] محمد سعيد – دراسات في الأدب الأندلسي ، ص 28 .
[2] عبد العزيز عتيق – الأدب العربي في الأندلس ، ص 150 .
[3] المرجع نفسه ، ص 150 .
[4] المرجع نفسه ، ص 151 .
[5] احمد هيكل الأدب الأندلسي من الفتح إلى سقوط الخلافة ص 78 .
[6] حنا الفاخوري – الموجز في الأدب العربي و تاريخه ، ص 34 .

و من هؤلاء قاسم بن أصبغ ، و الخشنى ، و محمد بن عبد الله الغازي و تتلمذ لهؤلاء عدد من التلاميذ شهروا في القرن الرابع يقف في صادراتهم ابن القوطية و الزبيدي [1].

ووصل شعر المتنبي مبكرا إلى الأندلس و رواه عدد من الرواة و أول من نقل شعره ابن لأشج ، ثم ابن قادم القرطبي [2].

و انتشرت في الأندلس علوم أخرى مثل " الرياضيات و الطبيعيات اشتهر فيها " نور الدين أبو إسحاق البطروحي " و علوم الفلسفة و من مشاهيرها " ابن طفيل " ، " و ابن باجه " و" التاريخ و الجغرافيا " كان " لابن خاقان " و " ابن بشكوال " الفضل الكبير فيها [3].

- كما كان للشعر المحدث نصب كبير في حلقات الدروس فقد دخل شعر حبيب بن أوس " ابن تمام " الأندلس عن طريق المؤدب القرطبي عثمان بن المثنى حيث رحل الى المشرق و لقى حبيبا فقرأ عليه شعره و ادخله الأندلس [4].

تميز الشعر الاندلس بجودة الصياغة و حسن أساليبه و صورة و قد نسجوا قصائدهم على منوال الأقدمين مع المحافظة عليه و ألباسه ثوبا جديدا ، و هكذا و بظل هده الرسائل و ثقافة الحكام تطورت آداب الأندلس و تمت ، و أضافت إلى تراثنا الغربي تراثا متينا

البيئة الفنية :

انصرف الأندلسيون كذلك إلى معالجة الأواني الخزفية ، فبرعوا في تزويقها ، و ظهرت مدرسة حفارى العاج بقرطبة فأنتجت من العلب و الصناديق و غير ذلك ما بقي شاهدا على دقة العمل و رقي الذوق ، و تقدم الحضارة ، و يتصل بالحفر و التصميم فن الفسيفساء الذي بلغ فيه الأندلسيون الغاية [5].

- إن هذه الحياة لا تقوم إلا في جو حافل بالموسيقى ووسائل الطرب و كل شيء في الأندلس جمال و موسيقى ، و كل شيء فتنة و غناء ، مجالس الطرب تقام فى كل مكان ، و مجالس اللهو المغمورة تترنم بألف و تر و من تتبع تاريخ الأندلس ، وقف على ما هناك من احتفال تسديد بالشراب و الموسيقى ، لمس تلك الطبيعة الأندلسية المتهافتة على متع الدنيا [6] ، فقد أخذت الموسيقى تغزو الأندلس ، ففي أوائل عهد الأمير عبد الرحمان وصل إلى قرطبة مغني عراقي اسمه " زرياب بواسطته انتقلت الموسيقى من العرب إلى الأندلس ، و كان زرياب من رجال

---

[1] محمد سعيد محمد- دراسات في الأردن الأندلس ، ص 38 .
[2] المرجع نفسه ، ص 38 .
[3] حنا الفاخوري – الموجز في الأدب العربي و تاريخه ، ص 35 ، 36 .
[4] محمد سعيد محمد دراسات في الأدب الأندلسي ص 40 .
[5] حنا الفاخوري ، الموجز في الأدب العربي و تاريخه ، ص 29 .
[6] شهاب الدين أحمد المقري – نفخ الطيب من غض الأندلس الرطيب و ذكر ووزيرها لسان الدين بن الخطيب ، تحقيق إبراهيم الابياري مطبعة لجنة التأليف و الترجمة ، ج1 ، ص 123 .

العبقرية الفنية ، يعرف عشرة آلاف صوت ، بأشعارها و ألحانها ، و يتلو زرياب " عباس بن فرناس " و إليه يعود الفضل الأكبر في إدخال الموسيقى الشرقية إلى اسبانيا و تعميمها [1].

قال ابن عبد ربه في الموسيقى " هي الصناعة التي هي مراد السمع و مرتع النفس ، و ربيع القلب و مجال الهوى ، و مسلاة الكئيب و انس الوحيد ، وزاد الراكب ... و قد يتوصل بالألحان الحسان إلى خير الدنيا و الآخرة فمن ذلك أنها تبعث على مكارم الأخلاق من اصطناع المعروف وصلة الرحم ، و، و التجاوز عن الذنوب ، وقد بكي الرجل بها على خطيئته و يرقق القلب من قسوته ، و يتذكر نعيم الملكوت ، و يمثله في ضميره " [2].

بالإضافة إلى كل هذا فإن " زرياب " علم الأندلسيين طريقة الطهي العراقي ، و ضرورة الترتيب في تقديم الأطعمة ، و استعمال الأواني الزجاجية بدلا من الفضية و الذهبية[3] ، و بفضلهّ أصبحت قرطبة في مدة وجيزة مركز للموسيقى و الغناء و غيرها من ضروب اللهو التي تقرن عادة
بعصور العرب الراهنة في ربوع الأندلس و اشتهرت بصناعة الآلات الموسيقية و تصديرها [4] كان لزرياب الفضل في نقل الموسيقى إلى الأندلس و نقل نبض عادات العرب كذلك ، و هذا في الجانب الفني .

[1] مصطفى السيوفي – تاريخ الأدب و الأندلس الدار الدولية لاستثمار الثقافة ، ط1 ، 2008 ، ص 45 .
[2] أحمد بن محمد عبد ربه – القفد الفريد ، ج3 ، ص 225 ، 226 .
[3] أحمد مختار العبادي في تاريخ المغرب و الأندلس ، ص 102 .
[4] المرجع نفسه ، ص 103 .

مقدمة

الخاتمة

قائمة المصادر والمراجع

الفهرس

مـــــــــقـــــــــدمـــــــة

انتشر الشعر في العصر الأندلسي فلم يكن حكرًا على الشعراء و إنما اهتم بقوله الأمراء و الكتاب و الفقهاء ، فطبيعة الأندلس جعلت سكانها يهتمون اهتماماً باليغاً بالشعر فكانوا ينظمونه في جميع الأغراض كشعر الطبيعة و المجون ، و الزهد الذي يدعو إلى ذم الحياة الدنيا و التفرغ إلى الأخرة وهذا ما نلاحظه في شعر إبن عبد ربه فظهرت في الأندلس مجموعة من الاتجاهات الشعرية بالاتجاه المحافظ و المحافظ الجديد و الاتجاه المحدث وقد كان لكل اتجاه دواعي لإنتشاره و العمل على منواله .

- فالشعر الأندلسي تتبع الشعر الشرقي بجميع نواحيه وتغذى بدمه وهذا راجع إلى التواصل المستمر بين الأندلس و المشرق بواسطة الرحلات المتبادلة بينها والتي من خلالها تم نقل الكتب و المعارف وعلى هذا تبادرت إلى ذهنى مجموعة من الأسئلة منها ما هو الاتجاه المحدث ؟ على يد من ظهر؟ كيف انتقل إلى الأندلس ؟
- وقد اتبعت في هذه الدراسة منهجا وصفى تحليلي وصفى لأنى بغرض وصف أحدث تحليلي لتحليل بعض الظواهر ومن أجل هذا قسمت هذا البحث إلى مدخل و فصلين تعرضت في المدخل إلى البيئة الأندلسية في عصر الإمارة ، البيئة السياسية و الاجتماعية ، والاقتصادية فالثقافية ، العلمية و الفنية ثم تطرقت في الفصل الأول إلى الأديب و أدبه ، حيث عرفت به ثم بشعره أما الفصل الثاني فخصصته للاتجاه المحدث فعرفته و تعرضت لدواعي التجديد، ثم الأغراض المحدثة و اعتمدت في هذه الدراسة على مجموعة من المصادر و المراجع كان أهمها ديوان ابن عبد ربه.
- كتاب العقد الفريد .
- الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة لابن بسام.
- وفيات الأعيان و أبناء أبناء الزمان بن خلكانى.
- المراجع نذكر منها الأدب الأندلسي من الفتح إلى سقوط الخلافة لأحمد هيكل .

- المعارضات في الشعر الأندلس لإيمان الجمل.
- شوقي ضيف الفن ومذاهبه في الشعر العربي .
- وفي الأخير أتمنى أن يكون هذا العمل قد أضاف شيئا من المعرفة كما أتقدم بجزيل الشكر للأستاذة الفاضلة "شيتر رحيمة" التي فتحت لي مجال البحث ، والتي غمرتني بمساعدتها وحسن توجيهها ولطفها معي فلولا إرشاداتها لما ظاهر هذا العمل في هذه الحلة ولاننسى شكر جميع أساتذتنا الكرام ولله المنة أولا و أخيراً .

الـفـــــــــصل الأول

الشـاعـــــــر وشـعـــــــره

1. الشـــاعـــــــر

2. شـــــعـــــره

التعريف بالشاعر :

نشأته و حياته :

و هو أبو عمر أحمد بن محمد عبد ربه اسمه بالكامل أحمد بن عبد ربه بن حبيب بن حدير بن سالم مولى هشام بن عبد الرحمان بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان أبو عمر [1] الأموي بالولاء ، لأن جده كان مولى لهشام بن عبد الرحمان الداخل لثاني خلفاء الأمويين بالأندلس [2] ولد بقرطبة في العاشر رمضان سنة 246 هـ و كانت قرطبة آنذاك و طوال مدة الدولة المروانية عاصمة الأندلس و حاضرتها الكبرى [3] تخرج على علماء الأندلس و أدبائها و أمتاز بسمة الإطلاع في العلم و الرواية و طول الباع في الشعر و الكتابة قال عنه ياقوت في معجمه " و كان لابن عمر بالعلم جلالة و بالأدب رياسة و شهرة مع دياته و صيانة ، و اتفقت له الأيام وولايات للعلم فيها نفاق فسار بعد خمول ، و أثرى بعد الفقر ، و أشير إليه بالتفصيل إلا أنه غلب عليه الشعر " [4].

يرتقى نسبه في المصادر إلى جده الرابع سالم من موالى هشام بن عبد الرحمان الداخل ، أبو محمد و كنيته أبو عمر ، و يعرف بابن عبد ربه نسبة إلى جده ، و لم ينسب إلى قرطبة إلا في القرن السابع من طرف ابن خلكان [5].

فيما يخص أسرة الشاعر فإن هذا الجانب من حياته يظل غامضا فلا الشاعر و لإنتاجه يقدمان لنا شيئا فنذكر منهم عبد الرحمن و أخ آخر اسمه يحيا .

أسرة ابن عبد ربه

سالم – حدير – حبيب – عبد ربه – محمد

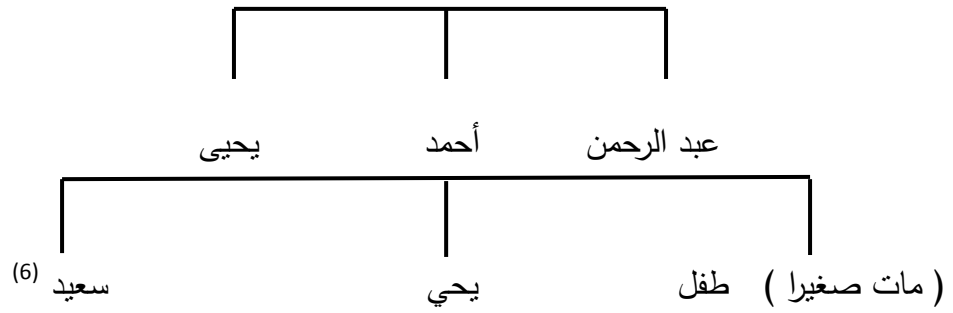

[1] أحمد حسن الزيات – تاريخ الأدب العربي ، دار المعرفة ، ط8 ، 2004 ص 234 .
[2] المرجع نفسه ، ص 234 .
[3] الإمام أبي نصر فتوح بن عبد الله لأزدي الحميدي الأندلسي ، جذوه المقتبس في ذكر ولاة الأندلس ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 1997 ، ص 89 .
[4] المرجع نفسه ، ص 89 .
[5] نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب شهاب الدين أحمد بن محمود المقرى تحقين إحسان عباس ، بيروت ، دار صادر ، 1963 ، ص 89 .
[6] ابن عبد ربه و شعره – دراسة و تحليل محمد عيسى موسى إشراف صيام زكريا ، سنة 1985 ، ص 9 .

نشأة ابن عبد ربه في قرطبة فقيرا خاملا في أسرة متواضعة من أسر موالى هشام بن عبد الرحمن الداخل ، فطلب العلم على يد شيوخ عهده في جامع المدينة و أخذ عنهم الفقه و الحديث و اللغة و السير و الأخبار ، و من أهم شيوخه ، بقي بن مخلد ، و ابن وضاح العالم بالحديث و الخشنى [1] الذي أدخل كثير من حديث الأئمة ، و كثير من اللغة و الشعر الجاهلي [2].

- حصل على ثقافة إسلامية و علوم عربية واسعة و نمى بذلك موهبته الشعرية التي مكنته من التقرب إلى أمراء بني مروان ، و غيرهم ، و رفعت منزلته بعد أن كان واحدا في جملة المثقفين [3] ، و قد ظهرت ثقافته الواسعة في مصنفه " العقد " و ظهرت أيضا في ثنايا شعره المتبقي ، فهو يشير إلى شاعر مثقف ، مطلع على جوانب كثيرة من العلوم الإسلامية و العلوم العربية ، بالإضافة إلى انبهاره بالشعر و إطلاعه على التراث الشعري بخاصته و الأدبي بعامة مما كان في الأندلس ، و مما وصل إليهم من آثار المشارقة و نذكر هنا أستاذه " بقى بن مخلد " نفسه أدخل إلى الأندلس كثيرا من كتب المشارقة ، و شيخه " الخشنى " جاء من رحلته

إلى المشرق بزاد لغوي كبير و بعدد من دواوين الشعر ، أما ابن وضاح فكان من علماء الحديث المشهورين و إذا عددنا " العقد " كتابا يقصد به مؤلفه إلى تقديم زاد ثقافي مركز للناشئة في المعارف العامة ، فهو يمثل من جهة ثانية نموذجا واضحا من جذور ابن عبد ربه الثقافية [4].

- كان لابن عبد ربه فضل كبير على الثقافة الأندلسية الفقهية لأنه بالإضافة إلى سعة علمه أدخله الأندلس كثير من كتب المشارقة كمصنف ابن أبي شبلة و فقه الشافعي و التاريخ لخليفة بن خياط ، و كتاب سيرة عمر بن عبد العزيز ، و نسخة من كتاب العين [5] ، يستطيع الدارس أن يكون صورة مقربة لشخصية ابن عبد ربه ، و أن يلتمس عددا كبيرا من خصائص تلك الشخصية و مقوماتها ، فهو إنسان معتدل أقرب إلى الهدوء و الاتزان ، و تشعر من خلال أخباره ، و شيء من مساجلاته الشعرية أنه إنسان قادر إلى إنشاء العلاقات الاجتماعية و الوصول إلى رجال الدولة الكبار من الأمراء ، و غيرهم من القادة و الوزراء ، و كان لتدينه و روعه أثر في أسلوب معاملة الناس له ، و حسن إجابته و قضاء حوائجه[1] .

---

[1] عيسى خليل محسن أمراء الشعر الأندلسي ، دار جرير ، ط1 ، 2007 ، ص 183 .
[2] المرجع نفسه ، ص 184 .
[3] محمد رضوان الداية ن ديوان ابن عبد ربه ، دار الفكر ، دمشق ، ط3 ، 2003 ، ص 31 .
[4] المرجع نفسه ، ص 32 .
[5] عيسى خليل محسن – أمراء الشعر الأندلسي ، ص 184 .
[1] محمد رضوان الداية ، ديوان ابن عبد ربه ، ص 32 .

و لنا أن نسلم بأن ابن عبد ربه كان غزير الشعر ، متنوع الموضوعات و قد عاش الرجل قرابة ثمانين سنة ، شرقت فيها شهرته و غربت حتى إن " الفتح بن خاقان " في " مطمح الأنفس " يسوق نقلا عن أحد الحجاج الأندلسيين " الخطيب أبي الوليد بن عباد " أنه حج فلما انصرف تطلع إلى لقاء المتنبي و استشرق ، و رأى أن القيادة فائدة يكتسبها ، و حلة فخر لا يكتسبها ، فصار إليه ، فوجده في مسجد عمرو بن العاص ، ففاوضه قليلا ثم قال : أنشدني لمليح الأندلس ، يعني ابن عبد ربه فأنشده :[2]

يا لؤلؤا يسبى العقول أنيقا ورشا بتقطيع القلوب رفيقا
ما أن رأيت و لا سمعت بمثله درّا يعود من الحياء عقيقا
و إذا نظرت إلى محاسن وجهه ألقيت وجهك في سناه غريقا
يا من تقطع نظره من رقة ما بال قلبك لا يكون رقيقا[3]

و لما أكمل إنشاده استعاده منها ، و قال يا ابن عبد ربه ، لقد يأتيك العراق حبوا [4].

كان ابن عبد ربه سريع الغضب ، وجر عليه ذلك اشتباكه مع " القلقاط " الشاعر معاصره في الهجاء ، و نراه في أشعاره شابا و شيخا كثير التشاؤم الى و ذم الدنيا و الناس ، وسوء الضن بالأشخاص كما نراه في أخريات أيامه يعارض كل مقطوعة غزلية أو خمرية قالها في شبابه بمقطوعة في ذم الدنياو التنفير منها و سمى تلك المقطوعات بالممحصات أي المخلصات من الذنوب [5].

كان ابن عبد ربه متجاوبا متدينا ، أخذ بحظه من المتع المباحة ، و ربما كان اقرب إلى لتزمت منه إلى الانطلاق ، فقد أورثته ثقافته الفقهية نظرة محافظة متشددة ، تنفر من كل جديد و تعادي العلوم الدنيوية و يكفي أن نذكر صلته بمسلم بن أحمد بن أبي عبدة الليثي ، الذي كان عالما بالحساب و النجوم ، و كيف عابه لاهتمامه بهذه العلوم ، ووصفه بأنه شاذ عن رأى الجماعة ، و تهكم بمعارفه الفلكية ، و أعلمه بأنه لا يصدق ما تضمنه علومه [1] في قوله :

زعمت بهرام أوبيدختى يرزقنا لا بل عطارد أو مريخ أو زحلا
و قلت إن جميع الخلق في فلك بهم يحيط و فيهم يقسم الأجلا
و الأرض كورية حف السماء بها فوقا و تحتا و صارت نقطة مثلا

[2] محمد زكريا عناني – في الأدب الأندلسي ، دار المعرفة الجامعية ، دط ، دت ، ص 77 ، 78 .
[3] عبد الحكيم الوائلي – موسوعة شعراء الأندلس ، دط ، 2000 ، ص 205 .
[4] المرجع نفسه ، ص 206 .
[5] عيسى خليل محسن ، أمراء الشعر الأندلسي ، ص 184 .
[1] محمد رضوان الداية – ديوان ب ، ص 220.

و على الرغم مما بلغه من مكانة ، لما شهر عنه من تقوى و ديانة ، فقد كان فيما يبدو ضيق البال حاد الطبع سريع إلى الهجاء ، متبرما بالناس كثير الشكوى من الزمان ، سيء الظن بالمجتمع مسرعا إلى رؤية السيئات دون الحسنات في زمانه و أهله ، و إذا عاد صديقا اندفع في هجائه و قصة مع القلقاط الشاعر الذي كان من أقرب أصدقائه إليه قد تصور حدته و سلاطة لسانه [2].

امتد بابن عبد ربه العمر ، و تقلبت عليه أحوال الحياة و عرف الحياة في أحوالها المختلفة فبدأ بسيطا مغمورا و انتهى معروفا مشهورا و عرف الضيق و الحاجة ثم انهالت عليه الدنيا من عطايا الأمراء و القادة و حكام الأقاليم و سواهم ، و لكنه منذ أن اتصل بالبيت المرواني ارتقت مكانته الاجتماعية و أقبلت عليه الدنيا كما شاء ، و بقيت له تلك المكانة الرفيعة في قصور الأمراء و دور الوزراء و القادة ، كما كانت له مكانة المرموقة لدى العلماء و الشعراء و المثقفين في قرطبة و غيرها

و قد أدرك أمراء بني أمية الأمير محمد (275 – 300 هت) و أدرك شطرا من عهد عبد الرحمن الناصر (300 ، 350 هـ) و له فيهم مدائح كثيرة [3] وصلته بالدولة المروانية وثيقة ، و في مدائحه دليل على ثقتهم به ، كما يدل على ولائه للمروانيين و اعتقاده بخلافتهم و محبته فيهم ، و قد جعلوه المقدم على الشعراء [4].

لابن عبد ربه مجموعة من الشعر في بعض الملوك و الأمراء فنجده بمدح مبايعة أهل الأندلس للأمير عبد الرحمن الناصر سنة 300 هـ فيقول ابن عبد ربه : [5]

بـدا الهـلال جديدا و الملك غض جديدا

يـا نعمـة الله زيدي ما كـان فيك مزيـدا

إن كـان للصوم فطرا فأنـت للدهر عيدا[6]

إلى قوله :

إمـام عـدل عليـه تـاجان بـأس وجـود [1]

[2] عيسى خليل محسن ، أمراء الشعر الأندلس ، ص 184 .
[3] محمد رضوان الداية – ديوان ابن عبد ربه ، ص 33 .
[4] المرجع نفسه ، ص 34 .
[5] محمد شهاب العاني – الشعر السياسي الأندلسي في عصر ملوك الطوائف ، دار دجلة ، ط1 ، 2010 ، ص 58 .
[6] محمد رضوان الداية – ديوان ابن عبد ربه ، ص 32 ، 33 .
[1] محمد رضوان الداية – ديوان ابن عبد ربه ، ص 32 ، 33 .

- كما نلتقي بابن عبد ربه مملتاعا لفقد ابنين له ، هصر الموت غصن أكبرهما ، و هو في ريعان شبابه ، أما الثاني ، فكان صغيرا ، لم يبرح زمن الطفولة و له فيها مراث مختلفة فمن قوله في رثاء الطفل الصغير

على مثلها من فجعة خانني الصبر فراق حبيب دون أوبته الحشر
ولي كبد مشطورة في يد الأسى ، فتحت الثرى شطرو فوق الثرى شطر
فريخ من الحمر الحواصل ما اكتسى من الريش حتى ضمن الموت و القبر [2]

و قال أيضا يرثي ولده الشاب :

بليت أيضا عظامك و الأسى يتجدد و الصبر ينفذ و البكاء لا ينفذ
يا غائبا لا يرتجي لإيا به و لقائه دون القيامة موعد
باليأس أسلو عنك لا بتجلدي هيهات أين من الحزين تجلد [3]

ابن عبد ربه هو أحد محاسن الأندلس علما و نضال ، و أدبا و نبلا و شعره في نهاية الجزالة و الحلاوة و عليه رونق البلاغة و الطلاوة[4] إلى جانب أشعاره الكثيرة غلب على شعره ما سماه " الممحصات " و قد تمت وذلك أنه نقض كل قطعة قالها في الصبا و الغزل بقطعة في الوعظ و الزهد محصها بها كالتوبة منها ، و التوبة عليها ، و من ذلك قطعة محص بها قوله [5]

هلا ابتكرت بين أنت مبتكر هيهات بأبي عليك الله و القدر
ما زلك أبكى حذار البين متلهفا حتى رثى فيك لي الريح و المطر [6]

فقال :

يا عاجز اليس يعفو حين يقتدر و لا يقضى له من عيشه وطر
عايش بقلبك أن العين غافله عن الحقيقة و أعلم أنها سقر [7]

أخر شعر قاله ابن عبد ربه :

بليت و ابلتني الليالي بكرها و صرفان لأيام معتوران
و مالي لا أبلى لسبعين حجة و عشر أتتا من بعدها سنتان

---

[2] المرجع نفسه ، ص 193 .
[3] المرجع نفسه ، ص 194 .
[4] أبي منصور عبد الملك التسابوري ، يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر ، ج2 ، دار الكتب العلمية ، ط1 ، 2000 ، ص 85 .
[5] المرجع نفسه ، ص 85 – 86 .
[6] محمد رضوان الدابة – ديوان ابن عبد ربه ، ص 242 .
[7] المرجع نفسه ، ص 133 .

و لست أبالي من تباريح علي إذا كان عقلي باقيا و لساني [1]

قال الحميدي في جذوة المقتبس :

" وجدتني أبو محمد علي بن أحمد " ابن حزم " قال : حدثني بعض أصحابنا عن أبي عمر بن عفيف أن سعيد بن القزاز أخبره أن ابن عبد ربه قال هذه الأبيات قبل موته بأحد عشر يوما ، و هو سعر قاله و فيه بيان مبلغ سنه " [2].

توفي أبو عمر أحمد بن عبد ربه سنة ثمان و عشرين و ثلاثمائة لاثنتي عشر ليلة بقيت من جمادى الأولى ، فاستوفى إحدى و ثمانين سنة و ثمانية أشهر و ثمانية أيام إثر إصابته بمرض " الفاتح " و دفن بمقبرة بني العباس [3].

التعريف بأدب ابن عبد ربه :

شعره : لما دخل العرب الأندلس و استراحوا من الفتح و الجهاد رجعوا إلى طبيعتهم المتأصلة فيهم و إلى الملكة التي نشأوا عليها وورثوها في دمائهم و هي قرض الشعر ، و خاصة أن الشعر هو غذاؤهم الروحي و متعتهم النفسية و مرآة الحياة للعربي الاجتماعية و العقلية و النفسية و السياسية

يتغنى به في حله و ترحاله ، و يصور فيه ما يجيس بداخله من حب و بغض ، و يرسم فيه ما يحيط به من جمال الطبيعة و ماتلهمه به هذه الجنة الساحرة من روائع القصيد [4].

و لما أقام العربي في هذه البيئة ، و عاش عيشة فراغ و استقرار ، ظهر الشعر العربي متشحا متشحا بمطارف الخيال البديع و خاصة لما رآه العربي من جمال طبيعة هذه البلاد و إن كان يعيش بعقله و خياله في البادية و مرائيها فكانت معيشة تمثل حياتين ، حياة الحضر التي يحياها ، و حياة البادية التي يتمثلها في خياله و أحلامه ، و كان شعره منبعثا من هذين الأثرين فظهر فيه جمال الفطرة و جزالة البداوة ، و نضارة الحضارة ، و رقة الخيال و الإفتتان في الجد و الهزل و المجون ووصف

---

[1] محمد رضوان الدابة – ديوان ابن عبد ربه ، ص 242 .
[2] الإمام أبي محمد بن أبي نصر فتوح بن عبد الله الأزدي الحميدي جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس ، ص 90 – 91 .
[3] العقد الفريد أحمد بن محمد بن عبد ربه ، تحقيق أحمد أمين ، ج1 ، لجنة التأليف و الترجمة ، ط3 ، 1965 ، ص 09 .
[4] أحمد حسن الزيات – تاريخ الأدب العربي ، ص 207 .

العواطف و الأهواء و كان في صور الطبيعة ما يلهم قريحته بأجمل صور الوصف ، و أروع القصائد حيث رسموا في شعرهم كل شيء وقع عليه نظرهم و مرّ بخاطرهم [1].

- يعتبر الشعر حياة العربي فهو يعبر به عن ما يشعر و يحس كما يصور حياته من خلال هذا الشعر سوءا حياة الحضر أو البادية و قد كان الشعر أسبق أنواع الادب ظهورا في هذه البيئة الجميلة و ذلك لأنه مظهرا الثقافة العربية و لأنه مرآة الحياة العربية العقلية و الاجتماعية يشد به حيثما نزل و أينما ارتحل ، و لأنه مع ذلك جزء من كيانه طبيعة العربي لا يمكنه الاستغناء عنه و أطرح الشد به [2].

و لما قام ملك بني أمية فتح الخلفاء صدروهم للشعراء و الأدباء في مجالس الأدب و الغناء و أفاضوا عليهم الأموال و اتخذ الشعراء الشعر وسيلة للتقرب إلى الحكام و كبار القوم بمدحهم و التقرب إليهم ، ووصف مجالسهم و قصورهم و معالم الحضارة في بلادهم حتى كان الشعر وسيلة

إلى الثراء و الجاه و النفوذ و ظهر في عصر الأمويين العديد من الشعراء من أمثال ابن دراج القسطلي و أحمد بن شهيد ، و أحمد بن عبد ربه ، و كان تشجيع الملوك و الأمراء و الوزراء للشعراء بالغ الغاية ، فلا عجب إذا ازدهر الشعر على أنواعه و أخذت حاشية الشعراء ترقو إحساسهم الفنى برهف و بلغ من زيادة مكانة الشعر أن نظمه الملوك و الأمراء و الوزراء [3].

- فنظم شعراء الأندلس في جميع الأنواع الشعرية و الأغراض حتى الخمريات و المجون و الموشحات و الأزجال و لكنهم فاقوا العباسيين في وصف مناظر الطبيعية ، و رثاء الممالك الزائلة ، أمثال " أبو البقاء" الرندي ثم نظموا قواعد العلم ، و بعض الحوادث التاريخية [4] نظم الشعراء في جميع المجالات حتى كان الشعر بمثابة التاريخ لهم .

لقد عرف شاعرنا بالأدب في بلده و لكنه عرف بالشعر خاصة في المشرق فتهافتت على آثاره فطاحل الشعراء و الكتاب فهذا المتنبي يطلب من بعض الشعراء أن ينشده ، أنشدة طُرب لذلك و صفق

---

[1] هارون عبود ، أدب العرب ، مختصر تاريخ نشأته و تطوره و سر مشاهير رجاله و خطوط أولى من صورهم ، دار الثقافة ، بيروت ، ط3 1979 م ، ص 307 .

[2] أحمد حسن الزيات – تاريخ الأدب العربي ، ص 243 .

[3] صلاح جرار – قراءات في الشعر الأندلسي ، دار المسيرة ، ط1 ، 2007 ، ص 18 .

[4] مارون عبود – أدب العرب ، مختصر تاريخ نشأته و تطوره و سر مشاهير رجاله و خطوط أولى من صورهم ، ص 248 .

بيديه قائلا ايه يابن عبد ربه لقد يأتيكم العراق حبوا " و هي شهادة المتنبي ما بعدها شهادة و لا قال مثلها في غيره [1].

كما يعد ابن عبد ربه في رؤوس شعراء الأندلس في القرنين الثالث و الرابع ، و يعد أشهر شعراء الدولة المروانية و خلفائها ، لعل شهرته في زمانه كاتبا مضفا لا تقل عن شهرته شاعرا مقدما و قد كان ديوان شعر ابن عبد ربه في جملة ما اعتنى ب هبه الحكم المستنصر خليفة قرطبة العظيم و مما ضمه من آثار الأندلسيين إلى مكتبته و علق عليه بخط يده [2] ، و في القرن التالي (الخامس الهجري) كان ديوان ابن عبد ربه بين يدي مؤرخ الأندلس الشهير " ابن حيان " ، و قد وجدت في الأجزاء الباقية من كتابه (المقتبس شعرا كثيرا لابن عبد ربه ، و قد كان يقدم قصائده لثناء عليه و بيان مكانته الرفيعة و يضيف إليه الألقاب العالية ، و ديوانه مما بخلت به الأيام ، فهو لم يصل إلينا و لم يتبقى لنا من شعره إلا قصائده و مقطعات في كتاب " العقد " و قطع متناثرة ، وقصائد قليلة في المصادر الأندلسية ، و بخاصة كتب التاريخ [3].

- ذكر الحميدي أن ديوان ابن عبد ربه يقع في نيف و عشرين جزءا من جملة ما جمع للحكم بن عبد الله ، لكن هذا الديوان ضاع مع ما تبدد من تراث أهل لأندلس و لم تبقى منه إلا أشتات متفرقة جمعت فيما أطلق عليه اسم " ديوان ' [4].

شعر ابن عبد ربه أشبه بشعر ابن زيدون في الجمع بين روعة الشرقيين و جزالتهم ، وورقة الغربيين و سلاسنهم ، و هو أكثر ترديدا لأخبار المشارقة و أصبح تقليد لأشعارهم ، وقد اتصلت شهرته بهؤلاء فرو و أشعره و ردود و ذكره ، شهدوا له بالتقديم و الإجادة [5] ، و كفى شهادة المتنبي دليلا على فضل الرجل و علو كعبه و أثنى عليه " فلهذا الأديب شعر متماسك خال من تلك الميوعة التي نجدها في شعر المتوسطين من شعر ذلك الشطر من الإمبراطورية العربية " [6] .

و من شعره الفصيح ما يعد من عيون الشعر العربي و قد وصفه الثعالبي بأنه " في نهاية الجزالة و الحلاوة و عليه رونق من البلاغة " و لقد أعجب شاعرنا بما أعجب به المتنبي فكان شعره سهل الأسلوب بديع المعنى رقيق الطبع خصوصا ما كان منه في النسيب ووصف الرياض و مجالس اللهو [1].

---

[1] مارون عبود – أدب العرب ، مختصر تاريخ نشأته و تطوره و سر مشاهير رجاله و خطوط أولى من صورهم ، ص 344 .
[2] محمد رضوان الداية – ديوان ابن عبد ربه ، ص 30 ،31 .
[3] المرجع نفسه ، ص 32 .
[4] محمد زكريا عناني – في الأدب الأندلسي ، ص 74 – 75 .
[5] أحمد الزيات – تاريخ الأدب العربي ، ص 234 .
[6] المرجع نفسه ، ص 235 .
[1] عبد الحكيم الوائلي موسوعة شعراء الأندلسي ، ص 205 .

- أتى ابن عبد ربه في بعض الفنون بمعاني جديدة و تشابيه جميلة فقد كان سبكه جيدا ، واضحا بريئا من العقيد ، فيه رشاقة و طلاوة ، و كان لفظه سهلا دقيقا عذبا فيه رونق و حلاوة لم يقيده بالبديع إلا قليلا [2] ، و قد تعرض عبد ربه إلى فنون كثيرة وفق في بعضها ، و لم يوفق في البعض الآخر فقد أجاد في باب الغزل و المدح و الرثاء أكثر من الهجاء أما الوصف فهو شأن شعراء الأندلس متفوق على الكثيرين من شعراء المشرق و يظهر أنه قد كان لهذه المناظر المبهجة المختلفة في بلاد الأندلس تأثيرا في نفوس هؤلاء الشعراء فردد و ذكر جمالها ووصفوا بهيج منظرها بلفظ أنيق رقيق [3].

يشير أسلوب ابن عبد ربه بصفة عامة أصيل سهل التناول إلا أنه غير عميق الفكرة ، ولا دقيق الصورة و لا يخص المعاني ، مع نغمة موسيقية و حاسة فنية تعطى الدارس دليلا على وفرة التجربة و أصالة الشاعرية و حلول النفس الشعري و تنوع اتجاهاته [4].

الدكتور أحمد هيكل و على حبه لابن عبد ربه ، و مقاومة آراء من يغمضون عن قيمته الشعرية قد حكم على أرجوزته التاريخية حكما قاسيا حين قال في كتابه " الأدب الأندلسي " [5].

" كما عرف ابن عبد ربه بالممحصات عرف كذلك بأرجوزة في الخليفة عبد الرحمن الناصر تلك الأرجوزة التي مجد فيها الخليفة ، ووصف حروبه و غزواته ... و الحق أن تلك الأرجوزة أشبه ما تكون بالمنظومات التاريخية فليس فيها من عناصر ، الشعر شيء ذو قيمة ، و من الإنصاف للشاعر و الشعر أن تعد في النتاج التاريخي لا في تراثه الفني " [6] .

- نجد أن أحمد هيكل حكم على أرجوزة ابن عبد ربه حكما قاسيا لاعتبارها نتاج تاريخي ، لا في ، و هذا لأنها تاريخ لأحداث حروب الخليفة الناصر ، فهي تعد من ملاحم التاريخ الأندلس.
- تقع الأرجوزة في أربعمائة بيت و بالجملة فقد تضمن شعره ما عرف من أغراض الشعر الأندلسي و لهذا لقب بشاعر الأندلس و لا ينازعه إلا معاصرة القلفاظ [7].

لابن عبد ربه طبع في الشعر القصصي و هو قليل في العربية و الأرجوزة في تاريخ عبد الرحمن الناصر صاحب الأندلس في عصره تعتبر من ذلك الشعر لكنها إلى الشعر التعليمي أقرب منها إلى

---

[2] يوسف عيد – دفاتر أندلسية في الشعر و النقد و الحضارة و الإعلام المؤسسات الحديثة للكتاب طرابلس لبنان 2006 ، ص 83 .
[3] المرجع نفسه ، ص 83 – 84 .
[4] محمد زكريا عناني – في الأدب الأندلسي ، ص 87 .
[5] محمد رجب البيومي – الأدب الأندلس بين التأثير و التأثر مكتبة ، الدار العربية للكتاب ، ط1 ، 2008 ، ص 90 .
[6] المرجع نفسه ، ص 91 .
[7] عبد الحكيم الوائلي موسوعة شعراء الأندلس ، ص 206 .

الشعر القصصي لجفافها و ضعف خيالها و بعدها عن قواعد الملحمة ، و هي منشورة في الجزء الثاني من " العقد الفريد " [1] و مطلعها و هو :

سبحـان من تحوه أقطـار و لم تكن تدركـه الأبصار

و من هنت لوجهـه الوجوه فمالـه نـد ولا شبيـه

سبحانـه من خالـق قدير و عـالم بخلقه بصير

و هذه الأجوزة مع طولها و ما حفلت من مدائح الأمراء و الملوك و ذكر المعارك و الجيوش ، لا تعد من الملاحم ، لضعف الخيال الشعري فيها مما يدخلها في دوائر الشعر التاريخي ، كمنظومة " علي بن الجهم " التاريخية [2] ، و هذه الأرجوزة ليس بها ما ينبغي أن تموج بها إزاء هذه الغزوة التي ليس لها مثيل في تاريخ الأندلس ، و ربما كان ذلك بسبب أنها صفت في صيفة الشعر التاريخي التعليمي الذي

نشر فيه الحرارة ، و يصبح أشبه إلى السرد منه بالشعر الغنائي المتوهج بالحرارة [3] و مع أن غزليات ابن عبد ربه و خمرياته و زهد بأنه يبدو فيها جميعا التكلف الشديد ، أما في مدائحه ، فتتجلى شاعريته البارعة ، و كأنما خلق للمديح أو مداحا [4] مدح ابن عبد ربه عبد الرحمن الناصر بقصائد كثيرة ، و أشاد بانتصاراته خاصة غزوة " المنتلون " عام 300 هـ و قضائه على ثورة مدينة " أستجة " [5] ، هذا في ما يخص الأرجوزة .

و ابن عبد ربه هو الشاعر المجيد الذي لم يتخل عن شرقيته له شعر ذو حظ كبير من الخيال و اعتماد على الاستعارة و التشبيه [6] و الخيال أقوى من العاطفة في شعره ، و ابن عبد ربه يعتبر من السابقين إلى اختراع فن الموشح ، فالأندلسيون كانوا يبحثون عما يميزهم عن أهل المشرق ، فابتكروا فن الموشح ، و أول من كتب فيه مقدم بن معافى القبري و محمد بن محمود القبري الضرير و هما من شعراء الأمير عبد الله بن محمد الذي حكم الأندلس بين 275 هـ و 300 هـ ، و ينسب بعدهما إلى أحمد بن عبد ربه [7].

– لما تناهت بابن عبد ربه السن و أرعشه الكبر ، أقلع عن صوته ، و أخلص لله في توبته و نظم أشعاره كثيرة سماها " بالممحصات " لأنه نقض كل قطعة قالها في الغزل و اللهو بقطعة

---

[1] أحمد حسن الزيات - تاريخ الأدب العربي ، ص 235 .
[2] محمد رضوان الداية – ديوان ابن عبد ربه ، ص 263 .
[3] عيسى خليل محسن أمراء الشعر الأندلسي ، ص 188 .
[4] المرجع نفسه ، ص 189 .
[5] المرجع نفسه ، ص 189 .
[6] صلاح جرار – قراءات في الشعر الأندلسي ، ص 19 .
[7] المرجع نفسه ، ص 19 .

من بحرها و رويها في الموعظة و الزهد و لم يكتف بنبوعه في الشعر و تفوقه في النثر فأراد أن يدل على براعته في التأليف أيضا ، فصنف كتابا في الأدب سماه " العقد الفريد"[1].

- يقع شعر ابن عبد ربه بين قطبين ، و يشمل مرحلتين ، أما القطبان فهما البديهة و الكد الذهبي دخل على القائد أبي العباس بن أبي عبده بنتجزه حاجة فكتب إليه .

ما ضرو عندك حاجتي ماضرها عذرا إذا أعطيت نفسك قدرها
أنظر إلى عرض البلاد و طولها أو لست أكرم أصلها و أبرها
حاشا لجودك أن بوعر حاجني ثقتي بجودك سهلت لي وعرها.

أما المرحلتان فهما مرحلة الشباب و مرحلة الشيخوخة ، ففي مرحلة الشباب التي أكثر فيها من الشعر الغزلي ثم عاد ينقض على نفسه ما قاله بأشعار يتولها في الزهد و التذكير بالموت ، و ذم الحياة الدنيا في الممحصات يقول ذاكرا بعض صوته [2]

هلا ابتكرت لبين أنت مبتكر هيهات يأبى عليك الله و القدر
يا عاجزا ليس يعفو حين يقتدر هيهات يأبى عليك الله و القدر
ما زلت أبلى عذار العين ملتهفا حتى رثى لي فيك الريح و المطر[3].

- يقول أيضا

ألا إنما الدنيا غضارة أيكة إذا أضر منها جانب جف جانب
هي الدار ما الآمال إلا فواجع عليها و لا اللذات إلا مصائب
فلا تكتحل عيناك فيها بعبرة على ذاهب منها فإنك ذاهب

- لم يترك ابن عبد ربه آثار كبيرة من نثره لأن العقد مجموعة أخبار في مختلف العلوم و الفنون نقلت عن رواة من عصور مختلفة ، رويت في روايتها المحافظة على الأصل من حيث صوغ العبارة .
- صرح ابن عبد ربه " سوى أفضل الاختيار و حسن الاختصار و ما سواهما فمأخوذ من أقوال العلماء و الأدباء "[1] ، و هذا يدل على أنه كان يرجع إلى كتب دونت ينقل عنها و أنه لم يأخذ عن أحد سفاهًا بحيث يخطر إلى سبك الخبر يلفته ، غير أن صاحب العقد قد صدر كتابه يقدمه

[1] أحمد الزيات – تاريخ الأدب العربي ، ص 235 .
[2] عيسى خليل محسن أمراء الشعر أندلسي ، ص 191 .
[3] محمد رضوان الداية – ديوان ابن عبد ربه ، ص 254 .
[1] يوسف عيد – دفاتر أندلسية في الشعر و النثر و النقد و الحضارة و الأعلام ، ص 72 .

من إنشائه و فرش لدار كل كتاب من كتب العقد بتوطئة من نثره و يظهر من بعض المواضيع في عقده أنه كان يرغب في اللفظ السهل ، قال : " و من قولنا نمدح رجلا باستسهال اللفظ و حسن الكلام" [2] ، و أنه كان يرغب في التكلف " فإنما مدار كل شيء على طبقة و التكلف مذموم من كل وجه " و انه كان يحب الإيجاز و يرى الفضل فيه قال " إذا كان أشرف الكلام كله حسنا و أوقعه قدرا و أعظمه من القلوب موقفا و أقله على اللسان عملا ما دل بعضه على كله و كفى قليله عن كثيره و شهد ظاهره على باطنه ، و ذلك أن تقل حروفه و تكثر معانيه "[3] .

و انه كان يرى بلا طناب موضعا ، و لكنه يفضل الاختصار في الجمل و قد جمع أكثر هذه الأمور التي تمثل رأيه في الإنشاء ، لابن عبد ربه أثار في الشعر و النثر أما الشعر فقد ضاع أكثره كما ذكرنا و أما نثره فله فيه كتاب " العقد الفريد " .

قامت شهرة ابن عبد ربه على هذا الكتاب ، و قد طبع هذا الكتاب بمطبعة بولاق سنة 1293 و سنة 1302 هـ ، ثم طبع أيضا في مصر [4] .

كتاب العقد الفريد : هذا الكتاب الموسوعي الضخم الذي ضع شهرته و ربما قلل من شانه باعتباره شاعرا ، ذلك أنه وجه معظم الاهتمام إلى هذا التصنيف البارع ، فضاع ابن عبد ربه الشاعر وسط ذلك [5] هو كتاب أدب جرى فيه صاحبه على أساليب التصنيف في الشرق لاسيما أسلوب ابن فنيية في كتاب " عيون الأخبار " وجعله مجموعة تاريخية أدبية فنية [6] ضمنه أخبار الملوك و الخلفاء و غيرهم ، و أخبار العرب و أيامهم و أنسابهم ، و حشر فيه جملة من أقوال الخطباء و الشعراء و الكتاب ، و شذرات من أقوال الحكماء في موضوع الاجتماع و العروض و الألحان و ما ذلك و جعله خمسة و عشرين جزءا أطلق على كل جزء منها اسم جوهرة من جواهر العقد ... و الكتاب شرقي في موضوعه و مادته و أسلوبه و ابن عبد ربه لا يزيد على بضاعته الشرقية إلا بعض أبيات و مقاطع شعرية من نظمه يراها خير ما يقدم من أدب الأندلس و خير ما يجدر الحفاظ عليه

[2] المرجع نفسه ، ص 73 .
[3] حنا الفاخوري – الجامع في تاريخ الأدب العربي ، دار الجيل ، بيروت ، لبنان ، دط ، دت ، ص 907 .
[4] محمد زكريا عناني – في الأدب الأندلسي ، ص 72 .
[5] مارون عبود – أدب العرب مختصر تاريخ نشأته و تصوره و سر مشاهير رجاله و خطوط أولى من صورهم ، ص 343 .
[6] حنا الفاخوري – الجامع فن تاريخ الأدب العربي ، ص 908 .

الصاحب بن عباد قال كلمته حين اطلع على " العقد الفريد " و لم يجد فيه ما كان ينتظر من أدبنا عبر البحار فقال " هذه بضاعتنا ردت إلينا " [1].

قيمة الكتاب :

" العقد الفريد مصدر من مصادر الأدب العربي و تاريخ و هو و إن اعتوره بعض النقص من الناحية التاريخية ، جليل الفائدة الأدبية لما احتواه من آراء نقدية و من مذاهب فنية لها قيمتها الحقة في عالم التلحين و الغناء [2].

- أما من الناحية النقدية فقد عرف ابن عبد ربه أن يسوق لنا طائفة من الأقوال التي توضح لنا بعض مبادئ الجمال الفني في الأدب ، و بعض المقاييس الجمالية ، و أن يقف فيها موقف الحكم الذي يميز بين الحسن و القبيح ثم عرف كيف يسوق أيضا لنا أقوالا توضح الحالات النفسية التي لا بد منها لقول الشعر و عرف أيضا كيف ينصب نفسه حكما بين النقاد فيوضح ما يعاب من الشعر و ليس يعيب كما يوضح مواطن تقبيح الحسن و تحسين القبيح ينطلق صاحب العقد من رواية الأقوال إلى إبداء الرأي إلى التمييز و التقليل في سعة معرفة و سلام ذوق و دقة إدراك [3] و توار كثيرا وراء من يراهم أئمة الأدب و البيان من رجال الشرق [4].
- إذن كتاب العقد يعتبر من أمهات الكتب فقد جمع فيه ابن عبد ربه جميع الفوائد ، و المسائل حتى الأخبار و الأنساب و الأمثال و الشعر كما جمع فيه الطب و الموسيقى كذلك ، وقد استوعب خلاصة ما دون من كتب الأصمغى و أبى عبيدة و الجاحظ و ابن قتيبة و غيرهم ، ولم يقتصر على المأثور عن العرب بل وشى كتابه بما ترجم عن اليونان و الفرس و الهنود من ضروب الحكمة و الموعظة و المدح [5].

أما من الناحية الأدبية و التاريخية فقد استطاع ابن عبد ربه أن يجمع في كتابه طائفة حليلة من الشعر في مختلف أغراضه و موضوعاته و أن يجمع طائفة من أخبار الشعراء و الأدباء إلى جنب طائفة أخرى من الأخبار التي تدخل في صلب تاريخ العرب منذ الجاهلية إلى عهده و استطاع أيضا أن يؤرخ الأوزان الشعرية و طريقة استخراجها بواسطة الدوائر و أن يجمع لنا طائفة

---

[1] حنا الفاخوري – الجامع فن تاريخ الأدب العربي ، ص 908 .
[2] المرجع نفسه ، ص 908 .
[3] المرجع نفسه ، ص 909 .
[4] مارون عبود – أدب العرب ، تاريخ نشأته و تطوره و سر مشاهير رجاله ، ص 343 .
[5] أحمد حسن الزيات - تاريخ الأدب العربي ، ص 235 .

من أمثال العرب و خطبهم ، و فكاهاتهم ، و ملحهم كل ذلك من غير إغراق في الإسناد و لا تكلف في التقليل و المناقشة و لا اعتماد للسجع و الزخرفة ، و هكذا كان أسلوب ابن عبد ربه أسلوب أدب و طبيعة و سلاسة ، و كان كتابه نثرا نفسيا في المكتبة العربية [1] .

- لكن من الغريب أن المؤلف و هو أندلسي لم يشر إلى الأندلس و لا أهلها بكلمة اللهم إلا إلى نفسه [2].
- إذا ابن عبد ربه ليس شاعرا فقط بل يمكن اعتباره أديبا من الأدباء الكبار في فترة الإمارة و كتابه " العقد الفريد " كنزت من كنوز الثقافة العربية .

[1] حنا الفاخوري – الجامع في تاريخ الأدب العربي ، ص 909 .
[2] أحمد حسن الزيات – تاريخ الأدب العربي ، ص 235 .

الـفـــــــــــصل الـثـانـي

الإتجاه المحدث

1. تعريف الاتجاه المحدث
2. الموضوعات الشعرية في شعر ابن عبد ربه
3. التجديد في «اللغة ، الأسلوب ، الموسيقى الصورة ، بنية القصيدة »

تعريف الاتجاه المحدث :

إن التطور و التنامي أمران ضروريان لمواكبة التغيرات الاجتماعية و الثقافية و لا يمكن للأديب أن يظل حبيس القديم و رهن تقليده تقليدا بحصره في حيز التكرار و النمطية التي تتسم بالركود و الجمود لأنه و كما يرى الدكتور توفيق سليطين [1] " المقدرة على تمثل التجارب و بنائها ذهنيا بالانتقال من الحسي المجرد ، هي سمات النوع الإنساني تهيئ له في نشاطه الحي المعقد أن يكثف الخبرة و يتزود بها في مواجهة موضوعاته بحيث لا يتعين عليه أن ينطلق في كل مرة خالي الذهن ليكرر ما سبق أن مر بخبرته و بهذا فإن المقدرة على التجريد و استبقاء المعرفة عبر إنشاء هياكلها و مخططاتها ، ليست وقعا على الإنسان القديم ، كما يستند إجراء التمييز أو المفاضلة بين أسلوبين أحدهما يتسم بالحيوية و مواكبة التغيير و يفترض الخروج على الأنماط المتشكلة و تجاوزها استجابة للتحولات الاجتماعية و تلبية للشروط الجديدة و الاحتياجات المتنامية و الأخر يرسى نمطه و يتحجر فيه و يحاول أن يكره الحياة على التوقف عنده ، و الاستجابة له ، و تأسيسا على ذلك فإن الأسلوب الأول يبقى على الإنسان من حيث هو فاعل يعلو على نفسه باستمرار أما الأسلوب الثاني فإنه بتحجره و انغلاقه يوجب على الإنسان أن يسقط نفسه و أن يتحول إلى مفعول لمفعولاته " [2] .

أما الاتجاه المحدث فنعني به هذا الاتجاه الذي سار فيه بالمشرق

أبو نواس و مسلم بن الوليد و أبو العتاهية و أمثالهم من المجددين و الذي تزعمهم أبو النواس حيث ثاروا على الاتجاه التقليدي و نددوا بطريقته ، و راح يطرق أغراضا جديدة بمنهج جديد و أسلوب محدث [3] و كانت هذه الحركة التي تزعمها أبو نواس معاصرة لفترة الإمارة و لما كانت الأندلس دائمة الصلة بالمشرق ، دائمة الأخذ عنه فقد ظل الشعر الأندلسي مدة طويلة جدا نسخة مكررة للشعر العربي في المشرق [4] .

- فترة صراع الإمارة هي الفترة التي وصل فيها الاتجاه المحدث إلى الأندلس و في هذا يقول الدكتور أحمد هيكل " وبهذا ظهرت تلك الأشعار المحدثة Moderna التي أخذت اتجاها جديدا بجانب الاتجاه القديم " [5] .

---

[1] أحمد هيكل – الأدب الأندلسي من الفتح إلى سقوط الخلافة ، دار المعارف ، ط14 ، دت ، ص 128 .
[2] إيمان الجمل – المعارضات في الشعر الأندلسي ، دار الوفاء ، ط1 ، 2007 ، ص 112 .
[3] أحمد هيكل – الأدب الأندلسي من الفتح إلى سقوط الخلافة ، ص 127 .
[4] عبد القادر هنى – مظاهر التجديد في الشعر الأندلسي قبل سقوط قرطبة ، دط ، دت ، ص 10 .
[5] المرجع نفسه ، ص 11 .

هناك من يقر بتبعية الأدب الأندلسي للأدب المشرقي ، و شعر المؤدبين و الفقهاء في الأندلس يعتبرونه محاكاة لشعر المشرقي سواء في فنونهم أو معانيهم و نذكر منهم الدكتور بدير متولي " قد رأيناهم منذ أول عهدهم بالشعر في الأندلس يتجهون نحو المشرق و يأخذون عن شعرائهم و يحاكونهم محاكاة واضحة و حافظوا على القوالب الشكلية للشعر ، فالأوزان هي لم تتغير بل لم يطرأ عليها شيء نعتبره جديدا أو كانت ألفاظهم في أكثر أشعارهم جزلة تشبه ألفاظ المشارقة " [1] لقد تأخر الشعر الأندلسي في الظهور عن الشعر المشرقي عشرات السنين فلما ظهر كانت النماذج المشرقية أمامه هي الشعر المحدث فقد تأثر الشعر الأندلسي بالشعر المشرقي من أمثال أبى العتاهية و أبو تمام و ابن الرومي ، و كان أبا تمام أعمقهم أثرا في الشعر الأندلسي من حيث المبنى الشعري و الشكل [2] و ظل الشعر في بلاد الأندلس بصفته الأولى البدوية ، و ما لبث أن اتخذ صفة جديدة باتساع التصور و الذي يطلع على الشعر الأندلسي يجده أخا للشعر في بغداد و في بلاد العرب نفسها من حيث الصفات العامة و الموضوعات التي كانت عند القدماء [3] كما جاءت أحكام بعض الدارسين بتبعية الأدب الأندلسي لأدب المشرق كقول أحدهم " و يحسن أن نشير في النهاية إلى أن الأندلسيين كانوا في آدابهم مقلدين للمشارقة لأنهم كانوا يرون فيهم المثل الأعلى لشعرهم و أدبهم و يجدونهم

منبع علومهم و آدابهم و فنونهم و نظرتهم المثلى لكل ما كان يرد من المشرق من فكر و أدب و فلسفة و النسيج على منواله دون أن يعتمدوا على الغالب إلى إبداع أصل " [4] صاحب هذا القول يقر بأن منبع الشعر الأندلسي و أصلهم لأدب المشرقي .

- كانت الأندلس تقلد المشرق في جميع جوانب الحياة ، فقد سمى العرب في الأندلس بلدانا قديمة باسم دمشق و حمص ، و فلسطين [5] أما الحياة الاجتماعية نرى أن الخلفاء يهتمون بالغناء و الموسيقى و بدأت هذه الموجة مع وجود زرياب عام 206 هـ أما الحياة العقلية فقد كان التأثر فيها بالمشرق بينا واضحا ، وقد تتبع صاحب نفح الطيب " من رحلوا من الأندلس إلى المشرق للتزود بالعلم و من رحلوا من المشرق إلى الأندلس طلبا للثروة و المجد العلمي و الشهرة ، و اقبل الأندلسيون على هؤلاء العلماء الوافدين .

---

[1] إحسان عباس – تاريخ الأدب الأندلسي عصر سيادة قرطبة ، دار الثقافة ، بيروت ، لبنان ، دط ، 1969 ، ص 106 .
[2] المرجع نفسه ، ص 106 .
[3] أحمد ضيف بلاغة العرب في الأندلس ، دار المعارف ، سوسة ، تونس ، ط1 ، 1924 ، ص 76 .
[4] شوقي ضيف – الفن و مذاهبه في الشعر العربي ، دار المعارف ، ط11 ، 1987 ، ص 413 .
[5] المرجع نفسه ، ص 414 .

يأخذ عليهم و يتعلم منهم ، كما يرى في حياة أبى علي القالى و أماليه التي أملاها هناك و كانت الأندلس بطيئة على ما يظهر في تلقي الحياة العقلية من المشرق لكثر ما كان فيها من فن و خصومات [1] و إذا تركنا الحياة العقلية في الأندلس إلى الحياة الأدبية وجدنا ظاهرة التقليد للمشرق واضحة جليه إذ تصاغ الكتب الأدبية عند الأندلسيين على شكل الكتب الأدبية عند المشارقة يصاغ " العقد الفريد " على شكل " عيون الأخبار " و كتاب " الحدائق " لابن فرج الجياني في أهل زمانه على شكل كتاب " الزهرة " للأصبهاني و يصاغ " الذخيرة " لابن بسام على شكل كتاب " اليتيمة " [2] الأندلسيين كانوا مقلدين للمشرقيين في جميع المجالات الأدبية و الفنية و الاجتماعية ... .

- و الحق أن الحركة الأدبية في الأندلس صيغة على شكل الحركة الأدبية في المشرق و قد نعجب من ذلك ؟ ! و لكن من يتعمق دراسة الاندلس يعرف سرعة الاتصال بينهما و بين المشرق ، فلعل من الغريب أن يعرف القارئ أن كتابي " البيان و التبيين " و " التربيع و التدوير " نقلا في حياة الجاحظ إلى الأندلس كما نقل ديوان المتنبي في حياته إلى الأندلس نقله ابن الأشج الذي قابل المتنبي في القسطاط عام 346 هـ ، و بذلك استطاع ابن هانئ المعاصر له أن يتأثر به تأثر واضحا و يذكر صاحب الذخيرة أن ابن شهيد كان يغير معاني أبي العلاء في بعض أشعاره [3].

إذا الأندلسيون كانوا يعيشون على تقليد المشرق فصاحب الذخيرة يقول : " إن أهل الأفق أبو إلا متابعة أهل المشرق يرجعون إلى أخبارهم المعتادة رجوع الحديث إلى قتادة حتى لو نفق بتلك الآفاق غراب أوطن بأقصى الشام و العراق ذباب لجثوا على هذا ضما و نالوا ذلك كتابا و ملاحما " [4] ، و مهما يكن فقد كانت مثل الأندلسيين في الشغل هي نفس مثل المشارقة و مع ذلك فنحن لا نكاد نعرف للأندلس شاعرا ممتازا في القرن الثاني و الثالث للهجرة سوى بن الحكم .....[5] و أهميته ابن عبد ربه صاحب " العقد الفريد " و مثلما كان للاتجاه المحدث ظروفه التي تدعها إليه و تبرره في المشرق فإنه وجد ما يمهد له في الأندلس و يشجع عليه ، فانفتاح الأندلس على الحضارة المشرقية بطرق الاتصال المختلفة كان له الأثر الأكبر في نقل صورة هذه الحضارة المتحررة في كثير من جوانبها و طبعها على الأرض الأندلسية ، فالحياة المشرقة و كثرة مجالس الموسيقى و الغناء بدخول زرياب ، و

[1] شوقي ضيف – الفن و مذاهبه في الشعر العربي ، ص 416 .
[2] المرجع نفسه ، ص 416 .
[3] عبد القادر هنى – مظاهر التجديد في الشعر الأندلسي قبل سقوط قرطبة ، ص 11 .
[4] شوقي ضيف – الفن و مذاهبه الشعر العربي ، ص 417 .
[5] المرجع نفسه ، ص 417 .

تأسيسه لهذه المدرسة الغنائية في الأندلس ، و ما تبع هذه المجالس من شرب للخمر و التحرر الذي أباح للكثيرين إقامة علاقات بالمذكر فنشأ الغزل الشاذ كل ذلك أدى إلى ظهور الاتجاه المحدث في الشعر الأندلسي و أدى إلى أن يكون له دعاته و مناصروه [1] " كانت الحياة في فترة صراع الإمارة تقارب تلك الحياة في العراق أيام نشأة هذا الاتجاه فقد كان الأندلسيون في تلك السنوات ، يفتحون عيونهم على حياة جديدة مشرقة ، كما كانوا ينعمون بكثير من التحرر في ضلال بعض الأمراء المتحررين مثل عبد الرحمن الأوسط ، و بدأت تكثر بينهم مجالس الموسيقى و الغناء بفضل ما جاء به زرياب من ألحان و آلات وقيان ، و ما لفيه من تشجيع و ما بذله من جهود كما بدأت تكثر فيهم مجالس الشراب بسبب ما أتيح لهم من إنتاج الكروم و عصر الانبذة و ترخص في شربها ، كذلك بدأت تعرف بيئتهم علاقات الحب الشاذ ، بسبب ما كثر بينهم من علمان صقالبة و غير صقالبة ، و لما أخاط بالعلاقات و التقاليد كثير من التحرر و عدم التزمت ، و ربما ساعد على هذا النحو من السلوك كما عانت حياة الأندلس في تلك الفترة من صراع زلزل القيم و دفع الناس إلى التعلق بمتع الحياة " [2] و لا نستطيع القول بأن هذا الجانب فقط من شعر الحداثة هو الذي استجابت له

قرائح الأندلسيين و نفوسهم ووجدت له طريقا، بدأ الأندلسيون أنفسهم يعيدون له ، إنما و مثلما كان الحال في المشرق من ظهور رد فعل مقابل لحياة اللهو و المجون و الفساد ، فقد ظهر و على الجانب الأخر ذم الدنيا و الحث على الزهد فيها و الإقبال على الاخرة [3] و هكذا فإن الاتجاه المحدث ، وجد البيئة الأندلسية ممهدة لظهوره و انتشاره لما جد عليها من متغيرات غيرت عديدا من جوانب المجتمع الأندلسي فكرا و أسلوبا و سلوكا فجاء شعراء الحداثة و قد عبروا عن الواقع الجديد الذي مال بهم إلى رقة التحضر و رقة الحياة و الفكر و السلوك المتحررين من تبعيه الماضي بالتزاماته و تزمتاته فلم تعد الآن القيم هي القيم نفسها الداعية إلى المحافظة و الجدية ، و لم تعد الحياة هي نفس الحياة المرتبطة بالمثل و العلاقات بالأصول و الجذور [4].

- إن الشعر الأندلسي أفاد من غير شك من الحركة الشعرية المجددة في المشرق كما إن اهتمام الأندلسيين بتلك الحركة لم يكن مقصورا على العلماء و الأدباء المتفرغين للمسائل الثقافية إنما غيرهم أيضا كالتجار كان لهم إسهام طيب في توثيق العلاقات الثقافية بين الأندلس و المشرق

[1] إيمان الجمل – المعارضات في الشعر الأندلسي ، ص 114 .
[2] أحمد هيكل – الأدب الأندلسي من الفتح إلى سقوط الخلافة ، ص 118 .
[3] المرجع نفسه ، ص 119 .
[4] إيمان الجمل – المعارضات في الشعر الأندلسي ، ص 113 .

فالذي نقل خبر ظهور أبي نواس و شيئا من شعره إلى الأندلس كان تاجرا [1] في عهد الأمير عبد الرحمن الأوسط و ما لبث أن شاع بين أدباء الأندلس ، و هو عباس بن ناصح و هو من سكان الجزيرة الخضراء و قد سافر إلى المشرق فطاف مصر و العراق و الحجاز [2] ، و هذا واضح في قول الزبيدي " و عباس بن ناصح يقول في سياق كلامه على أسماعه أبا نواس شيئا من شعره : ثم أتممت الشعر فقال : هذا شعر الغرب ثم تعلق إلى نفسه فكنت في ضيافته عاما " و لا ريب أن هذه المدة التي قضاها في كنف أبى نواس قد مكنته من رواية جزء كبير من شعر و من شعر غيره ممن بدوا يثيرون من إسار تقاليد الشعر القديم و يجنحون إلى التعبير عن حياتهم الجديدة في أشعارهم ، فاستفاد الأندلسيون مما نقله عباس إلى الأندلس فقد ذكر الزبيدي أنه كان يجلس للناس يأخذون عنه الأدب كما أنه بعد عودته من رحلته تكرر على الحكم بن هشام بالمديح [3] فغير بعيد أن يكون الشعراء الذين كانوا يترددون على الحكم قد أفادوا مما بحوزته من شعر ليس كله كالشعر القديم في مبناه و معناه ، " و الحكم " كان فيه بعض الميل إلى التحرر و قد استساغ شعر أبى نواس الذي سمعه من عباس و هذه الاستساغة أن كانت حصلت تُشجع شعراء القصر على الأقل على قول شعر يعبرون فيه عن حياتهم مثلما عبر أبو نواس بكل جرأة عن حياته في شعره فقد أخبر غير واحد أن " الحكم " و ندماؤه كانوا يميلون بعض الميل إلى اللهو و سماع الغناء [4] ، معنى ذلك أن الحياة الأندلسية الجانحة إلى التجديد لا يستبعد أن تكون قد أصبحت موضوعا للشعر منذ أواخر القرن الثاني أسوة لما وصلهم من شعر مشرقي فيه تعبير عن حياة تقارب بعض المقاربة حياتهم في هذا العهد إذ منذ هذه الفترة بدأ الجو يتهيأ لاستقبال النماذج المشرقية المحدثة عن طريق الراحلين إلى المشرق و عن طريق الطارئين على الأندلس ، ففي أخريات أيام الحكم بن هشام دخل الأندلس إبراهيم بن سليمان الشامي ، و كان أدرك بالمشرق كبار المحدثين كأبي نواس ، و أبى العتاهية و يفهم من قول المقري من أنه دخل الأندلس شاديا بالشعر[5] انه عمل على نشر أشعار هؤلاء المحدثين بالأندلس و في أيام الأمير محمد دخل الأندلس أبو اليسر إبراهيم بن أحمد الشيباني الذي لقي أبا تمام و البحتري و دعبلا و ابن الجهم ، و روى الناس عنه شعر أبى تمام [6]

---

[1] عبد القادر هنى – مظاهر التحديد في الشعر الأندلسي قبل سقوط قرطبة ، ص 30 .
[2] محمد حسن قجة – دراسات في التاريخ و الأدب و الفن الأندلسي ، الدار السعودية ، ط1 ، 1985 ، ص 41 .
[3] المرجع نفسه ، ص 42 .
[4] عبد القادر هنى – مظاهر التحديد في الشعر الأندلسي قبل سقوط قرطبة ، ص 31 .
[5] المرجع نفسه ، ص 31 .
[6] إحسان عباس – تاريخ الأدب الأندلسي عصر الطوائف و المرابطين ، دار الشروق ، عمان ، الأردن ، دط ، 1997 ، ص 351 .

و لقي أبا تمام عثمان بن المتنبي و أخذ عنه شعره و عند قفوله اشتغل بالتأديب [1] كما لقيه مؤمن بن سعيد و روى عنه شعره ، و اهتم الطبيخى من جهته بشرح ديواني مسلم بن الوليد و أبى تمام ، و علاقة هذين الشاعرين بحركة التجديد في المشرق و أثرهما فيها أمر ذائع مشهور فلا يستبعد أن يكون لشعرهما بعض لأثر في حركة التجديد في الشعر الأندلسي [2].

رضوان الداية يلاحظ أن هناك علاقة بين تيار التجديد في الأندلس بشعر المحدثين بالمشرق و هو يقول في هذا الموضوع " كان دور المؤديين و من نزل منزلتهم هاما من حيث أنهم اجتهدوا في الرحلة إلى المشرق و جلب شعر المحدثين من شعرائه و مخالطة العلماء و الأدباء هناك و الأخذ عنهم و نقل ذلك إلى بني وطنهم " [3].

نلاحظ من هذا أن الرحلات كانت لها دور كبير في نقل هذا الاتجاه إلى الأندلس ، فهؤلاء التجار التقوا بالشعراء في المشرق و سمعوا منهم شعرهم و لما عادوا إلى وطنهم ألقوا ما سمعوه إلى الحكام و الشعراء فتمثله بعض الشعراء و عباس بن ناصح كان له الفضل في هذا ثم تبعه بعض الشعراء .

- إذا كان الشعراء في الأندلس من قبل قد أثروا الاتجاه المحافظ لدواع من حياتهم و وقعهم و دوافع من قيمهم و مثلهم ، فقد أثر بعض الشعراء الآن الاتجاه المحدث لدواع أخرى تتصل بالحياة الجديدة و الواقع الجديد و لدوافع أخرى ترتبط بالقيم التي تغيرت و المثل التي تبدلت [4]

من أهم الدوافع المؤدية لظهور الاتجاه المحدث التطور الحضاري الرقي و تعتبر الحياة من البادية إلى التمدن بالإضافة إلى الدهور .

الأغراض المحدثة : في شعر ابن عبد ربه .

كما كانت الموضوعات الحداثية في المشرق تظل برأسها على عالم الشعر و أغراضه مثل وصف الخمر ، الغزل الشاذ ، وصف الطبيعة ، الزهد فإنها ذاتها استحدثت في الشعر الأندلسي يقول د . هيكل " فمن حيث الأغراض ظهرت الخمريات ، و ظهر كذلك الغزل الشاذ و المجونيات و ظهرت كذلك بواكير الطبيعيات و الزهديات " [1] اهتم هذا الاتجاه بالعديد من الأغراض نذكر منها

[1] إحسان عباس – تاريخ الأدب الأندلسي عصر الطوائف و المرابطين ، ص 351 .
[2] المرجع نفسه ، ص 352 .
[3] محمد رضوان الداية – ديوان ابن عبد ربه ، ص 32 .
[4] أحمد هيكل – الأدب الأندلسي من الفتح إلى سقوط الخلافة ، ص 132 .
[1] إيمان الجمل – المعارضات في الشعر الأندلسي ، ص 113 .

الخمريات ، و الغزل الشاذ ، و المجون و شعر الطبيعة و الزهديات ، و أول غرض نتطرق إليه في شعر ابن عبد ربه هو :

الغزل :

إن الغزل في الشعر الأندلسي كان يترسم خطوات الشعر الجاهلي فقد كان شعراؤه يشعيرون الأطر من القصيدة القديمة ، فتغزلوا في مواقف التحمل و الارتحال التي تثير في الذهن صورا من حياة البادية ، كما وقفوا على الديار ، و تعلقوا بالصورة المثالية للمرأة التي هام بها الأوائل فكرروا معانيهم وصورهم و أخيلتهم ، من دون أن يخرجوا في الأعم الأغلب إلى غزل إباحي فاحش فيه طرح لرداء الوقار و الحشمة [2] و المرأة التي تغزلوا بها كانت حرة كذلك تحدثوا عن تحملها مع أهلها و عن حراسها بل منهم من ذكر تصريحا أنها لم تكن من أولئك النسوة اللائي ألفن غثيان مجالس اللهو و الترف [3] .

و قد تميز شعر الغزل بارتباطه ببيئة الأندلس المتحضرة ، و لعل أهم مظاهر هذا الارتباط بالبيئة المكانة التي احتلتها الجارية في هذا الفن ، فقد كان هناك كم هائل من الجواري اللاتي غزون المجتمع الأندلسي ، بالإضافة إلى ظاهرة مهة هي تربع الجارية على العرش ، و مزاحمة المرأة الحرة مزاحمة شديدة بعد أن كانت الغلبة لها في الغزل الجاهلي [4] إذا الصدارة كانت للإماء و الجواري أما المرأة الحرة فلم تعد نرى لها سوى صورة شاحبة ، خلافا للإماء اللواتي عيشنا مجالس اللهو التي كان يرتادها الشعراء و غير الشعراء من الناس فتنا ولهن في قصائدهم بألوان من القول[5] .

- و من المهم أيضا أن نتحدث عن الموقف الجديد للشعراء في تعلقهم بالمرأة فما بلغت من الناس انصراف الشعراء في نزلهم عن تشريح جسد المتغزل بها و عن المبالغة في العناية بمظاهر الجمال التقليدية عندها ، فقد أصبح الشاعر لا يتجاوز مفاتن الوجه أما سواها كالردف الثقيل فيشبه بالكثيب المهيل ، و ضمور الخصر و الأحشاء المخطفة و الجسم الممتلئ ، و السمنة المفرطة حتى أعاقت المرأة عن الحركة هذه المظاهر فلما وجدت عناية في الغزل في الشعر الأندلسي ، و يمكننا القول إن عدم الاكتراث بهذه المفاتن التي كان الشاعر القديم تشديد الكلف

[2] محمد كرد علي – عابر الأندلس و حاضرها ، دار الأهلية ، ط1 ، 1923 ، ص 80 .
[3] المرجع نفسه ، ص 80 .
[4] عبد القادر هنى – مظاهر التجديد في الشعر الأندلسي قبل سقوط قرطبة ، ص 49 .
[5] المرجع نفسه ، ص 49 – 50 .

بها ، يُعد أثرا من آثار تطور الذوق في البيئة الأندلسية التي ألفت عنها رداء البداوة [1] فهذا ابن عبد ربه يتغزل فيتعلق بالجانب المادي في جمال المرأة ، و لكنه لا يشرح جسمها و لا يقارب محاسنها بعناصر الطبيعة البدوية ، إنما يتحدث حديثا عاما عن جمالها كأن مفاتنها تجل عن التحْديد ، فلم يذكر منها سوى و جنتيها [2]فيقول :

رشا سجد الجمال لوجنتيه كما سجد النصارى للصليب
عليه من محاسنه شهود تؤديها العيون إلى القلوب
يلاعب ظله طربا و اهوا كما لعب الشمال مع الجنوب[3]

فقد عدل الشاعر عن الإفراط في رصد مفاتن محبوبته إلى الإعجاب بجمالها الذي جل عنده عن التحديد ، فخيل إلينا أن هذه المرأة بلغت من صفات الحسن أن أقر لها الجمال ذاته بالكمال فخر

ساجدا بين وجنتيها كما يخبر العاشق بين يدي محبوبته يؤدي لها لصلوات الحب ، و قد تسامى الشاعر أيضا عن الوصف الحسن لمظاهر الجمال إلى ما تثيره في القلب من معان ، فالعين تدرك مفاتن المحبوب المادية ، لكنها تبدو عاجزة عن تقييدها ، سوى أن سحرها ينفذ إلى القلب فتهزه رعشة حب يكاد ينفطر لشدتها [4] .

إذا الأبيات تتحدث عن الجانب المادي لجمال المرأة ، فالشاعر لم يذهب لتشريح حسنها و تفصيله و الوقوف عند مفاتنها ، فهو لم يذكر إلا وجنتي المحبوبة و بقية الأبيات يتحدث عن جسمها

- يبدو من خلال البيت تأثر هذا القول بالبيئة الأندلسية فالصورة التي أوحى بها الشاعر بدرجة الجمال التي بلغتها محبوبته أخذها من الحياة المحيطة به ، فمن العناصر المكونة للمجتمع الأندلسي " النصارى " الذين تركت لهم حرية ممارسة شعائرهم الدينية ، و من هنا استوحى " عبد ربه هذه الصورة .

و يقول ابن عبد ربه في الغزل كذلك

---

[1] أبى منصور عبد الملك الثعالبي النيسابوري – يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر ، دار الكتب العلمية ، ط1 ، 2000 ، ج3 ، ص 27 .
[2] المرجع نفسه ، ص 28 .
[3] محمد رضوان الداية – ديوان ابن عبد ربه ، ص 79 .
[4] عبد القادر هنى – مظاهر التجديد في الشعر الأندلسي قبل سقوط قرطبة ، ص 50 .

غزال زانه الحور و ساعد طرفه القدر
يريك إذا بدا وجها حكاه الشمس و القمر
براه الله من نور فلا جن و لا بشر
فذاك الهم لا طلل وقفت عليه تعتبر[1]

أخذ الشاعر بعض المعاني الغزلية المشهورة في التراث ، فالجمال يقترن عنده بالشمس و القمر ، و العين الفاتنة هي العين الحوراء ، لكن الأبيات فيها ذوق جديد ، فاستمرار بعض المعاني و الصور القديمة مع تطور الحياة أمر طبيعي و نلاحظ في هذا النموذج ملامح أخرى للتجديد ففي البيت الثالث يقول بأن المرأة التي فاقت في إشراقة الوجه و ضيائه الشمس و القمر ، أن الله براها من نور فهي ليست جنية لأن الجن خلقوا من نار و لا إنسية لأن الإنس خلقوا من طين .

من خلال هذه المعاني التي نقب عنها الشاعر في القرآن الكريم و في التراث الإسلامي ، سما بجمال المتغزل بها عن جمال أي مخلوق ، لذلك ربما لم يذهب إلى تشبيه مفاتنها بما يقابلها في الطبيعة لأنه أدعى أنها صيغت من نور و النور مما يسموا عن التحديد ، و ذلك تراه في البيت الثاني لا يزعُم أنها تشبه الشمس و القمر ، إنما ذهب إلى هذين الكوكبين استمدا منها نورهما [2].

يقول ابن عبد ربه أيضا :

يا لؤلؤا يسبى العقول أنيقا ورشا بتقطيع القلوب رفيقا
ما أن رأيت ولا سمعت بمثله درا يعود من الحياء عقيقا
و إذا نظرت إلى محاسن وجهه أبصرت وجهك في سناه غريقا
يا من تقطع حصره من رقه ما بال قلبك ، لا يكون رقيقا ؟[3]

قال الدكتور الدقاق معلقا على الأبيات بعد أن أوضح صلتها بالبيئة الأندلسية من ناحية ألفاظها الحضارية من لؤلؤ و در و عقيق التي تدل على ميل الأندلسيين إلى التجميل و الزخرفة " و لعل ما يلاحظ فضلا عن ذلك من هذا الطابع الأندلسي ، تلك الفتاة الأندلسية المولودة ببشرتها البيضاء التي أشبهت اللؤلؤ تلبث من الحياء و الخفر أو توردت و تشرب وجهها بالحمرة فبدا كالعقيق " [4] معنى ذلك أن هذا النوع من الغزل بدأ يتميز بلونه المحلي الذي يزيده وضوحا انعكاس الطابع الحضاري في المعجم الشعري و في صوره و من هنا يتضح لنا تأثر الشاعر و الغزل بطبيعة الأندلس الساحرة و

[1] ديوان ابن عبد ربه ص 82 .
[2] المرجع نفسه ، ص 82 .
[3] المرجع نفسه ، ص 29 .
[4] شوقي ضيف في التراث و الشعر و اللغة ، دار المعارف 1987 ، دط، ص 105 .

يتضح هذا من خلال مقولة " المرأة صورة من محاسن الطبيعة و الطبيعة نجد في المرأة ظلها و لذلك كانت الحبيبة روضا و جنة و شمسا " [1] .

و هذا ابن عبد ربه يجمع بين متعة الشراب و المرأة و الطبيعة فيقول :

اشرب على منظر أنيق و امزح بريق الحبيب ريقي
و احلل وشاح الكعاب رفقا واحذر على حصرها الرقيق
و قل لمن في التصابي إليك خل عن الطريق[2]

الشاعر هنا لا يكتفي بواحدة من المتع الحسنة التي ذكرها ، إنما يمزح بينها جميعا و يقتنصها جهرا بتحد و إصرار ، و هذه ظاهرة جديدة في شعر الغزل الأندلسي ، و هذا المجون في الغزل الأندلسي كان أثر من أثر الترف الحضاري ، و قد تناول هذا الفن الذكور كذلك .

و هو ما يوحى بشذوذ أذواق المحدثين الأندلسيين ، و قد ربط بعض الدارسين بين هذا الغزل الشاذ و ابتذال المرأة ، فالدكتور بدير متولي يعلل هذه الظاهرة في الغزل الأندلسي بقوله " و سبب أخر في إشاعة الغزل بالمذكر و انتشاره هناك ، هو أن الجزيرة الأندلسية قد امتلأت بالغنائم و السبى من بنات الروم و نسائهم لدرجة زهدن الناس فيهن "[3] .

و من أسباب شيوع الغزل الشاذ أيضا كثرة الصبيان ، و الغريب في الأمر أن بعض الشعراء كانوا جادين صادقين فيما أبدوه من صبابة ، ووجد و هيام بهؤلاء الذكور ، بل إن بعضهم قضى نحبه من قرط الصبابة و الوجد مع أن المحال ليس مجال حب طبيعي [4] و إذا كان هذا الغزل في الأندلس لم يختلف في أغلب الأحيان عن الغزل بالمؤنث ، من حيث الصفات التي نعت بها الغلام و هناك صفات خاصة بالغلمان يميزه ، الشاعر بها عن المرأة كوصف الشارب و العذار و لخيلان فابن عبد ربه تغزل بغلام و جعل الأعذار من بين مفاتنه التي تخلب الألباب فقال :

ياذا الذي خط الجمال بخده خطين هاجا لوعة و بلا بلا
ما صح عندي أن لحظك صارم حتى ليست بعارضك حمائلا [5]

لا بد أن تشير إلى ما في هذا الفن من طرافه في الأخيلة و ميل إلى الابتكار في المعاني و في هذا يقول ابن عبد ربه .

---

[1] شوقي ضيف في التراث و الشعر و اللغة ، ص 106 .
[2] ديوان ابن عبد ربه ، ص 118 .
[3] بدير متولي حميد ، قضايا أندلسية ، دار الشرق ، القاهرة ، 1954 ، دط ، ص 65 .
[4] المرجع نفسه ، ص 65 – 66 .
[5] ديوان ابن عبد ربه ، ص 81 – 82 .

حوراء داعيها الهوى في حور حكمت لواحظها على المقدور
نظرت إلى بمقلتي أدمانة و تلفتت بسوالف اليعفور
و كأنما غاص الأسى بجفونها حتى أتاك بلؤلؤ منثور [1]

قال الدكتور بدير متولي معلقا على البيت الثالث " ففي البيت الثالث تصوير مبتكر لما يمتلك النفس ساعة الفراق من أسى ولوعة تعوض في أعماق النفس ثم تفيض بالدمع الذي يشبه حبات اللؤلؤ المنثور " .

على هذا النحو نرى أن الغزل قد تطور ، تطورا ملحوظا في مضمونه و شكله و أن البيئة بجميع ملابساتها كان لها أثر في ذلك .

إن الشعراء المحدثين الذين اتخذوا الجاهليين أئمة و ترسموا خطاهم في صناعة الشعر كانوا في غرض الوصف يحيون غالبا في بيئة ذهنية واهية الصلة بالحياة الحضارية التي كانت تحيط بهم و هذه الظاهرة ليست مقصورة على المحدثين المحافظين من شعراء المشرق بل لها امتدادها من الشعر الأندلسي أيضا [2] .

- و قد تعرض الشعراء في هذا الفن لوصف الطبيعة بنوعيها " الطبيعة ، و الصناعية " .
- و قد تكلف الشعراء الأندلسيون في وصف طبيعتهم نظرا لما حبا الله بلادهم من طبيعة خلابة فقد تعلقوا بهذه الطبيعة بقسميها الصامت و الحي ، فنقلوا منها مشاهد زاهية وصفوا فيها الرياض ، و البساتين بأزهارها و أشجارها و أطيارها ، كما أسمعونا خرير الماء الدافق من منابعه بلونه اللجيني متلويا في مجاريه كأنه ثعابين ، و أصاخوا إلى الرعد فوصفوه ، و حدقوا في السماء عائمة و معطرة ، فتراءي لهم غيثها بكاء يبعث الحياة في الأرض فنمى إحساس الشعراء بالطبيعة ، و شدة تعلقهم بها ، بعد أن كان الغالب على القدماء تصويرها قاسية متجهمة ، أما في الشعر المجدد بالأندلس ، فإن الظاهرة التي تستدعي الاهتمام هي كلف الشعراء بالطبيعة ، كلف يوحي بتغيير الإحساس بها و هذا يعبر عن تطور أذواق الناس[3]

---

[1] بدير متولي ، قضايا أندلسية ، ص 72 .
[2] عبد القادر هنى ، مظاهر التجديد في الشعر الأندلسي قبل سقوط قرطبة ، ص 134 .
[3] بدير متولي ، قضايا أندلسية ، ض 131 .

و في هذا الصدد يقول ابن عبد ربه يصف روضة :

و ما روضة بالحزن حاك لها الندى برودا من الموشى حمر الشقائق
يقيم الدجى أعناقها وبميلها شعاع الصحى المستن في كل شارق [1]
من أجل أن تبقى الروضة محتفظة بشخصيتها حعلها الشاعر بعيدة عن الماء

و المرعى فلا ترعى منها لا الماشية و لا الحمير و بهذا تبقى في نظرة خضراء ، نظرة و قد وصف ابن عبد ربه الروضة هنا و صفرائنا فجعلها مصرورة زاهية حوله .

- و لعل من الظواهر التي لم يعرفها شعر الطبيعة إلا مع المحدثين ما نراه فيه من تداخل بين عالم المرأة و عالم الطبيعة ، و بينه و بين عالم الحب و المحبين فإذا كان القدماء أشعروا صورا من الطبيعة وصفوا بها المرأة فشبهوا جيدها بجيد الظبية و قدها بالغض و خدها بالورود في احمرارها ، فإن المحدثين جازوا ذلك إلى أستعارة مفاتن المرأة و إحساساتها في وصفهم الطبيعة مثل قول ابن عبد ربه :

غزال ذاتـه الحـور و سـاعد طرفه القدر
يربك إذا بدا وجـها حكاه الشمـس و القمر[2]

جعل ابن عبد ربه هذه المرأة خلابة لأنها فاقت نور الشمس جمالا و ضياء القمر ، و قد ذكر شاعرنا هنا الشمس و القمر و عرف مكونات الطبيعة ، ثم ذهب الشعراء الأندلسيون إلى وصف الطبيعة المصنوعة ففشوا بطبيعتها التي أبدعتها يد الإنسان فوصفوا السفن و الأبنية و الصهاريج و النفورات ، فقد كان من شأن اهتمام ملوك الأندلس بالعمران و بالتأنق في زخرفة قصورهم و تجميلها بالحدائق إن وجد [3] الشعراء في تلك المباني البديعة مادة خصبة للوصف [4] و في هذا الصدد نجد ابن عبد ربه يقول :

ألما على قصر الخليفة فأنضر إلى منية زهراء تشيدت لأزهرا
مزوقة تستودع النجم سرهـا فتحسبه يصغى إليـها لتخبرا
بناء إذا ما الليل حل قنـاعه بدار الصبح من أعرقه الشم مسفر
تعالى علوا فات عن كل وصف إذا أكثروا في وصفه كان أكثرا[5]

---

[1] ديوان ابن عبد ربه ، ص 183 – 184 .
[2] شوقي ضيف ، عصر الدول و الإمارات ، دار المعارف ، ط2 ، 1990 ، ص 255 .
[3] ديوان ابن عبد ربه ، ص 79 .
[4] إحسان عباس ، تاريخ الأدب الأندلسي ، عصر سيادة قرطبة ، دار الثقافة ، بيروت ، لبنان ، دط ، 1969 ، 116 .
[5] ديوان ابن عبد ربه ، ص 119 – 120 .

وصف شاعرنا هنا قصر الخليفة وصفا رائعا بليغا ، فرأى أنه مزخرف مثل النجوم في السماء ، و إذا أطلع الليل بدا لك البناء مضيئا من شدة الأنوار ، و في البيت الموالي يقول بأنه مرتفع لا يمكن وصفه حتى لو أكثر فيه و قد استخدم ابن عبد ربه صورا زاهية يغلب عليها الطابع الحسى و هذا راجع لروح العصر فالأذواق ارتقت بالصور التي يغلب عليها الزخرف الشكلي الذي كان جزءا من فنهم في العمارة ، وقد بلغ التشبيه كذلك في وصف الطبيعة مكانة عالية – كما وصف الشعراء المظاهر الحضارية فقد أقبل الأندلسيون على معالجة هذا الموضوع الوثيق الصلة بحياتهم بما ترتب في أذهانهم و ضمائرهم من معان و صور حضاريه رأيتها قبلا في وصف الطبيعة من هنا تأتي قيمة هذا

الموضوع ، إذ لم يقف التجديد فيه في الموضوع إنما جاوزه إلى الأخيلة و المعاني و الصور [1] فوصفوا الصحف و الأفلام و الآلات ، و ابن عبد ربه وصف لنا في هذا الموضوع آلة للطرب فنجده يقول :

يارب صوت بصوغه عصب نيطت بساق من فوقها قدم
جوفاء مضمومه أصابعها في ساكنات تحريكها نغم
أربعة جزئت لأربعة أجزاؤها بالنفوس يلتحم
أصغرها في القلوب أكبرها يبعث منه الشقاء و السقم
إذا أرنت يغمز لافظها قلت حمام يجيبهن حم
لها لسان يكف ضاربها يعرب عنها و مالهن فم [2]

بإن عود ابن عبد ربه آلة جوفاء فارغة الوسط لها أربعة أوتار ترسل نغما شحيا إذا حركتها و هذه الأوتار تحركها الأصابع ، و كل منها يتصل بجانب معين من جوانب النفس ، لكن الصغير فيها هو صاحب الأثر الكبير في نفس لنغماته العذبة ، و إذا بدأنا العزف أخرجت إيقاعا مثل هديل الحمام و برد عليها حمام آخر ، كما أن لهذا العود لسان و لكنه في كف العازف ، فيحرك به الأوتار فتنطق لكن ليس بفم [3].

بأن هذا الموضوع قيم الصلة بالمجتمع الأندلسي المشرق الذي ذاع الغناء بين فئاته ذيوعا كبيرا و شغف به الناس شففا عظيما ، و قد عرف الشعر المجدد موضوعات أخرى كذلك كوصف السكين و المقص ، فهناك فرق بين وصف القدماء السيف ووصف المحدثين السكين ، كانوا يصفون السيف في الأغلب الأمر في سياق الفخر ، و من يصفون حروبهم و يتحدثون عن فتكهم بأعدائهم ، إما وصف السكين عند المحدثين فإنه كان لغرض جمالي لأنه لفرض المفاخرة أو التحدث عما أختر به من رؤوس

[1] عمر الدقان ، ملامح الشعر الأندلسي ، بيروت ، دار الشروق ، 1975 ، ص 109 .
[2] ديوان ابن عبد ربه ، ص 162 .
[3] المرجع نفسه ، ص 163 .

الأعداء ، أما الجلم أو المقص فهو موضوع جديد لم يعرف الشعر القديم[1] و في الأخير نذهب إلى أن شعر الوصف أو وصف الطبيعة قد تحرر من الأخيلة البدوية فقد كان الشعراء يُحَلقون فوق بيئتهم ، فاستمدوا منها كثيرا من تشبيهاتهم و إشعاراتهم و كتاباتهم ، و استوحوا منها بعض المعاني الجديدة و تميز خيالهم في جوانب كثيرة بالخصب و الطرافة[2] و يجب الإشارة إلى ظاهرة فنية أخرى هي غلبة التشبيه [3] كما تجدر الإشارة كذلك أن المادي المحسوس كان يشكل عنصرا بارزا كما يلفت إلى الصور التي لجأ فيها الشاعر إلى الجانب الحضاري و قد استمدوا مادة تشبيهاتهم من الأحجار الكريمة و المعادن النفيسة و قد عاب الدكتور إحسان عباس هذا الصنف من الصور في الشعر الأندلسي و المشرقي فقال بتحدث عن شعر الطبيعة في الأندلس " و إذا ميزنا هذا النوع من الشعر بالكثرة فليس معنى هذا أننا تميزه بالجودة ، فإن الغرام فيه بالصورة قد صرف الأندلسيين عن حب الموضوع نفسه ، أما الصورة فيه فإنها شبيهة بأختها المشرقية في صمودها و حديثها عن الزهر الحي بالتشبيهات الجامدة المستمدة من الوشي و الأحجار الكريمة " [4] كما تميز هذا الفرض بالاستقلال بمقطوعات شعرية قائمة بذاتها ، بالإضافة إلى وضوح لغته و اشتماله على طائفة من الألفاظ الحضارية [5].

شعر الخمر :

يقول بالنثيا " و كانت الخمريات أكثر فنون الشعر ذيوعا بين شعراء الأندلس ، و كانت عادة الشرب أن يجتمعوا على الكؤوس في البيوت أو الرياض أو على ضفاف الأنهار كالوادي الكبير و لم تكن مجالسهم مجرد اجتماعات للشرب ، و إنما اجتماعات أدبية شعرية كذلك ... و كان المجلس بنقضي بين تفارض الشعر و ارتجاله يتخلل ذلك بين الحين و الحين شدو جارية مغنية يصاحبها عزف العود و الطنبور و القيثارة ، و تتوزع أحاسيس السمار بين زهر لأحلام وشطحات السكر و مشاعر الهوى [6] يلاحظ من خلال هذا أن مجالس الخمر بالأندلس و هي الجمع بين وصف الطبيعة ووصف الخمر و هي ظاهرة مهمة – إن مثل هذه الطبيعة الغناء و لم يكن لشعر الخمر بها عهد في الجاهلية و قبل أن تتطور أذواق الناس و ترف إحساساتهم ، إنما هي سمة من سمات الشعر الخمري عند

(1) أحمد ضيف ، بلاغة في الأندلس ، دار المعارف ، سوسة ، تونس ، ط1 ، 1924 ، ص 138 .
(2) مصطفى ناصف الصورة الأدبية ، ط2 ، بيروت ، دار الأندلس ، 1981 ، ص 242 .
(3) المرجع نفسه ، ص 243 .
(4) إحسان عباس تاريخ الأدب الأندلسي عصر سيادة قرطبة ، ص 107 .
(5) المرجع نفسه ، ص 108 .
(6) أنخل جنثالث بالنثيا ، تاريخ الفكر الأندلسي حسين مؤنس ط1 ، القاهرة ، 1965 ، ص 41 .

المحدثين الذين أحسوا أن هذه الرياض هي المظهر الحقيقي بيئتهم الجديدة [1] ، و في هذا يقول ابن عبد ربه .

و مدامة صلى الملوك لوجهها من كثرة التبجيل و التعظيم
رقت حشائشها و رق أذبمها فكأنها ثبيت من التسنيم
و كأن عين السلسبيل تفجرت لك عن رحيق الجنة المختوم
راح إذا اقترنت عليك كؤوسها خلت النجوم تقارنت بنجوم
تجرى بأكناف الرياض و مالها فلك سوى كفى و كف نديم
حتى تخال الشمس يكشف نورها و الأرض كرعد رعدة المخموم [2]

ابن عبد ربه هنا استعمل كلمة التسنيم و هي شراب لأهل الجنة ففي هذه الأبيات ابن عبد ربه يرى بأن كؤوس الخمر تدور بين الأيادي مثل دوران النجوم في أفلاكها ، كما أنه سكر فأصبح يرى أن الشمس كشفت نورها و الأرض أصبحت ترعد و هذا من شدة السكر و قد استعمل هنا كلمات من الطبيعة مثل " النجوم ، الأرض ، الشمس " .

- مثلما استمد الشعراء صفات الخمر من الطبيعة فإنهم استمدوها أيضا من المرأة و هذه ظاهرة جديدة في شعر الخمر [3] و يتضح هذا جليا في قول ابن عبد ربه .

اشرب على منظر أنيق و امزج ببريق الحبيب ريقي
و احلل وشاح الكعاب رفقا و احذر على خضرها الرقيق
و قل لمن لام في التصابي إليك خل عن الطريق [4]

شاعرنا هنا جمع بين ثلاث متع هي الشرب و الطبيعة و المرأة و هو يرى بأن الشرب و هو يشاهد منظرا جميلا يتضح له بأنه مزج بريقه بريق حبيبه ثم يتغزل بالمرأة.

إن الطبيعة و المرأة فتحت السبيل أمام الشعراء المحدثين للتخلص من أسار الصور القديمة المستهلكة في شعر الخمر ، فقد اخذوا مواضع قديمة و تشبيهات و قدموها في أثواب جديدة ، تلائم ذوق العصر ، فالحديث عن لون الخمر مزجها و ما يعلوها من حباب حين يخالطها الماء ، و غير ذلك من الصفات و المعاني قد فطن لها الأقدمون و تحدثوا عنها و المحدثون قدموا هذه الصفات بأذواق جديدة .[5]

---

[1] أنخل جنثالث بالنثيا ، تاريخ الفكر الأندلسي حسين مؤنس ، ص 41 .
[2] ديوان ابن عبد ربه ، ص 242 .
[3] عمر الدقاق ملامح الشعراء الأندلس ، ص 118 .
[4] ديوان ابن عبد ربه ، ص 113 .
[5] عبد القادر هنى مظاهر التجديد في الشعر الأندلسي قبل سقوط قرطبة ، ص 69 .

و كان للمبالغة أهمية كبيرة عند المحدثين في تناول المعاني القديمة لإخراجها إخراجا جديدا فالحديث عن صفاء الخمر و لونها الذي توارده القدماء نجد المحدثين يبالغون في تصوره مبالغة شديدة [1] فيقول شاعرنا في هذا المجال .

مـوردة إذا أدارت ثـلاثـة يفتـح ودهـا ورد الخـدود
فإن مزجت تخال الشمس فيها مطبقة على قمر السعود [2]

- رأينا هنا كيف ان ابن عبد ربه صور لنا جمال هذه الأبيات بلون شرابه و هو يرى بأن لونها وردية و لكن إذا شربت تصبح الخدود وردية بسببها و إذا رجت يصبح لونها مثل لون الشمس
- و قد ذهب بعض الشعراء إلى وصف الخمر بخواطر فلسفية و إن لم يبلغوا في ذلك ما بلغه النواس في وصفه الفلسفي للخمر ، و هذا الفراق بينه و بينهم أمر طبيعي في بيئتين اختلفت درجة الحرية الفكرية فيهما [3] ، و إذا كانت أثار الفلسفة في وصف الخمر بالأندلس لم تبدو إلا بدوا شاحبا ، فإن تأثير الفقه في معانيها كان أبين و هو أمر طبيعي في بيئة كانت فيها سوى الفقه نافقة ، وقد بدت هذه المعاني الفقهية بدوا أكثر وضوحا في الأبيات التالية لأحمد بن عبد ربه و فيها بقول [4]:

وقتضضنا من العواتق بكرا نكحت أمـها بغير صداق
ثم بانت و لم تطلق ثـلاثـا لم تبن حرة بغير طـلاق
دينا في السمـاع دين مـد نـي وفي شربنا الشراب العراقي [5]

هذه الأبيات بينت التأثير شفافة ابن عبد ربه الفقهية ففيها حديث عن النكاح و ما يستوجبه من صداق مع إشارة إلى ما كان يذهب إليه المذهب الفقهي المالكي السائد في المدينة من تحليل السماع و المذهب الفقهي السائد في العراق من تحليل التبيذ من بين الأشربة على هذه الصورة نرى كيف ألفت ثقافة الشاعر الفقهية ضلالها على أبياته في الخمر .

الزهد :

قام هذا الشعر على تذكير الإنسان بنهايته و بعاقبته و إسرافه على نفسه و قد اتخذ الشعراء الزهاد من الحديث عن زوال الدنيا و تقلب الأحوال موضوعا لاستخلاص العظة ، و كان محور حديثهم

[1] أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبى بكر بن حلكان وفيات الأعيان و أبناء أبناء الزمان المجلد 7 ، دار صادر ، بيروت ، دط 1994 ص 316 .
[2] ديوان ابن عبد ربه ، ص 45 .
[3] عبد القادر هنى ، مظاهر التجديد في الشعر الأندلسي قبل سقوط قرطبة ، ص 72 .
[4] ديوان ابن عبد ربه ، ص 80 .
[5] المرجع نفسه ، ص ، 115

حياة الملوك الذين أدبرت الدنيا عنهم و تقلب عليهم الزمن فأضحوا سكانا للمقابر بعد القصور الفخمة التي عمروها و نعموا بزخرفها ، ثم خلفوها وراءهم خاوية ليتساووا مع غيرهم في محل إقامتهم الجديدة [1].

لذلك نلاحظ أن مسألة الموت و تذكير الإنسان بنهايته المحتومة قد أخذت مكانا واضحا في شعر الزهد ، فتوارد عليها الكثير من الشعراء و مثل ذلك قول ابن عبد ربه يذكر الموت .

ألا إنما الدنيا كأحلام نائم و ما خير عيش لا يكون بدائم

نامل إذا مانلت بالأمس لذة فقيمتها هل أنت إلا لحالم

و ما الموت إلا شاهد مثل غائب و ما الناس إلا جاهل مثل عالم [2]

ابن عبد ربه يذكر في هذه الأبيات بالموت و هو يرى أن الدنيا ليست إلا كالحلم ، و ليس فيها أي خير إذ أن العيش فيها لا يدوم .

- اصبح واضحا أن قضية الموت كانت من الموضوعات الرئيسية في شعر الزهد الهادف إلى وعظ الناس ، و إلى مقاومة الإنحراف الاجتماعي و الأخلاقي الذي تسببت فيه الحضارة المادية التي فتحت لها الاندلس أبوابها منذ أواحر القرن الثاني و أوائل القرن الثالث للهجرة ، و ينبغي أن يميز بين الحديث عن الموت في الشعر المجدد و بين الحديث عنه في الشعر القديم ، فقد كان حديث الأقدمين عن سبب الموت بسبب قلق فردي ، ثم
- كانت خشيتهم من نهاية لا يدرونها و قد أفاد شعر الزهد من الأسلوب القرآني في الوعظ و التذكير باليوم الآخر فنجد الشاعر يخاطبهم بشيء من اللوم و العتاب ، و يتجاوزه إلى التقريع إلى إن يتطور في أحيان أخرى إلى تهديد بسوء العاقبة مثل قول ابن عبد ربه .

و أرقب من الله وعدا ليس يخلفه لا بد لله من إنجاز ما وعد ! [3]

- و قد بدأت ملامح التصوف تلوح في الشعر الأندلسي قبل إنصرام القرن الرابع ، و هي من غير شك صدى لحياة أولئك المتعبدين المعرضين إعراضا شديدا عن المتاع الدنيوي و ظاهرة نلاحظها عند هذه الطائفة التي جعلت الشعر ترجمانا لتجاوبها الفردية ، هي تصوير هؤلاء الزهاد مخاوفهم و جزعهم بوجه خاص عند أولئك الذين استمتعوا بملذات الحياة بعض الاستمتاع في مرحلة في حياتهم ، ثم تابوا فأنابوا إلى ربهم ، كما هو شأن ابن عبد ربه الذي نراه في الأبيات التالية يبدي خوفه الشديد من المثول أمام المولى عز وجل بمعاصية و ذنوبه

---

[1] عبد القادر هنى ، مظاهر التجديد في الشعر الأندلسي قبل سقوط قرطبة ، ص 197 .

[2] محمد رضوان الداية ، ديوان ابن عبد ربه ، ص 108 .

[3] عبد القادر هنى ، مظاهر التجديد قبل سقوط قرطبة ، ص 206.

الكثيرة ، فلم يملك إلا أن يرجوه رجاءا معترفا بذنبه أ ن يكفر عنه سيئاته و يشمله بعفوه مبديا ندمه ، في إسرافه على نفسه قال :

ياويلنا من موقف ما به أخوف من أن يعدل الحاكم
أبارز الله بعصيانه و ليس لي من دونه راحم
يارب عفوا منك من مذنب أسرف إلا أنه نادم [1]

مصائرهم بعدها ، أما الحديث عن الموت فيما نحن فيه ففانيه لستخلاص الموعظة و دفع الإنسان ليتهيأ لملاقاة ربه [2].

- و كان من الطبيعي أن نجد فكرة الموت حجما كبيرا من الاهتمام في شعر الزهد لأن وقت الناس ، كان مشغولا للتفكير في الدنيا و مصائرهم فيها لا بعدها ، كما تصل الزهد بمحاربة شره الناس و كلفهم بالدنيا و متاعها و يعظم الأخرة لأنها دار إقامة و استقرار أما الدنيا فهي محل فرقة و متاع و غرور إذا فعلى المرء أن يحذرها فلا يأخذ منها إلا القليل و يصرف أكبر همه إلى التزود للآخرة قبل أن يدركه أجله ، فعلى من يرجوا لقاء ربه سالما أن يترك الدنيا و مغرياتها ، من مأكل و ملبس ، فاخرا فراش و أن يكون هملا بين

الناس متواضعا في مظهره و مخبره و أن يزهد في ملاقاة أولئك المتطاولين على الناس بأيديهم و ألسنتهم ، الذين أثروا الفانية على الباقية ، و في هذا يقول ابن عبد ربه .

تجنب لباس الخزي إن كنت عاقلا ولا تختتم يوما بغصن زبرجد
و لا تتطيب بالغوالي تعطرا و تسحب أذيال الملاء المعضد
و لا تتخيل صوت النعل زاهيا و لا تتصدر في الفراش الممهد
و كن هملا في الناس أغير شاعتا تروح و تعدو في إزار و برجد
و لا تطمح العينان منك إلى امرئ له سطوات باللسان و باليد
تراءت له الدنيا بزبرج عيشها و قادت له الاطماع من غير مقود
فأسمن تشحبه و أهزل دينه و لم يرتقب في اليوم عاقبة الغد [3]

و مثلما اتجه شعر الزهد إلى تحقير الدنيا و تنفير الناس منها و توجيه عنايتهم في قسمها الأكبر إلى الآخرة الباقية ، فإنه حاول أن يأخذ بيد الإنسان الذي ملأ نفسه [1] و ابن عبد ربه الذي أقبل على

---

[1] محمد رضوان الداية ، ديوان ، ابن عبد ربه ، ص 203 .
[2] عبد القادر هنى مظاهر التجديد في الشعر الأندلسي قبل سقوط قرطبة 208 .
[3] ديوان ابن عبد ربه ، ص 198 .
[1] عمر الدقاق ، ملامح الشعر الأندلسي ، ص 98 .

الدنيا في عهد الشبيبة ، ثم زهد فيها في مرحلة الشيخوخة و الهرم ، عبر عن ندمه على ما فرط منه في شبابه و راح يعظ الناس و يدعوهم إلى الزهد في الدنيا التي لا تدوم لأحد [2] فدعى إلى التوبة في قوله :

بادر إلى التوبة الخلصاء مجتهدا و الموت ويحك لم يمدد إليك ، بدا [3]

إن الشاعر في هذا البيت شخص الموت فإستعار له يدا يمدها نحو الناس يقبض بها أرواحهم .ولا يخفي ما لهذا الصورة من دور في تخويف المرء ليبادر إلى ما يدعو إليه قبل إن تمتد إليه هذه اليد على حين غرة فتزهق روحه ، كما يظهر في شعر الزهد أثر البيئة الأندلسية و في تمثيل هذا قول ابن عبد ربه :

ألا إنما الدنيا نظارة أيكة إذا أخضر منها جانب جف جانب

هي الدار ما الآمال إلا فجائع عليها ولا اللذات إلا مصائب

و كم سخنت بالأمس عين قريرة وقرت عيون دمعها اليوم ساكب

لا تكتحل عيناك فيها بعبرة على ذاهب منها فإنك ذاهب [4]

بالإضافة إلى اثر البيئة في هذه الأبيات يتضح في صورة الدنيا التي شبهها الشاعر بشجرة أو دوحة تلمس تصوير الدنيا المتقلبة و الحياة غير المستقرة علي حال .

التجديد في اللغة :

تعتبر اللغة عند ابن عبد ربه وثيقة الصلة بشخصية و ثقافة و هي تبين مستوى قدرته و مدى تحكمه فيها ، و قواعدها و حسن استعمالها و من يتصفح العقد يتبين له بسهولة اطلاع الشاعر الواسع على التراث العربي القديم و رواية جانب عظيم منه شعرا و نثرا و حكما و أمثالا و خطبا ، و كثيرا ما كان يعرف شعره بالجديد من أشعر العرب ، و شعره استنادا من إطلاعه على فنون الأدب المعروفة [5] ، ففي لغة الشاعر تكمن مقدرته و قوته ، لأنه استطاع تسخيرها في شعره ، و مع ذلك فقد حفظ لنفسه مستوى جيد للتعبير و استطاع أن يجمع في لغته بين الجودة و القوة في التعبير من جهة و سلامة الألفاظ و رقتها من جهة أخرى ، و يقصد الشاعر وراء ذلك إلى توظيف جيد للشكل و المضمون ليكونا في المستوى المنشود و هذا لتسليط الضوء على ثلاث زوايا [1] .

1) تمكنه من استخدام اللغة و ترويضها من أجل الأداء الجيد للمعنى المقصود كقوله :

سرى طيف الحبيب على البعاد ليصلح بين عيني و الرقاد

---

[2] المرجع نفسه ، ص 99 .

[3] ديوان ابن عبد ربه ، ص 41 .

[4] المرجع نفسه ، ص 65 .

[5] الموسوعة العربية العالمية مؤسسة سلطان بن عبد العزيز آل سعود الخيرية ، النسخة الإعلامية ، نحو 20000 من الصور و الخرائط و الإيضاحات .

[1] محمد عيسى موسى ابن عبد ربه و شعره دراسة و تحليل ، ص 198 .

فبات إلى الصباح يدى وساد لوجنته كما يده وسادى
بنفسي من أعاد إلى نفسي ورد إلى جوانحه فؤادي
خيال زارني لما رآني عدتني عن زيارته غوادى
يواصلن على الهجران منه و يدنيني على طول البعاد! [2]

فعلى الرغم من بساطة الألفاظ في البيت الأول و قرب معناه إلا أن الشاعر انتهى بها إلى الأداء الجدي بفضل البراعة في السبك فجاء المدخل قويا مع سهولة ألفاظه و جامعا للمعنى الذي فصلته الأبيات الأربعة بعد ذلك و من مظاهر تمكنه من اللغة ، اللجوء أحيانا إلى اللهو بالألفاظ و المعاني مثل

تجافى النوم بعدك عن جفوني و لكن تجفوها الدموع [4]

2) سلامة اللغة ووضوحها و هو جانب آخر من جوانب الجمال في لغة الشاعر ، نلاحظ فيه تتابع الألفاظ و العبارات طوعا كأنها سيل ينساب صافيا رقراقا و للنظم المعنى فيه انتظار اللفظ [5]

مثل :

غزال زانه زانه الحور و ساعد طرفه القدر
يربك إذا بدا وجها حكاه الشمس و القمر
براه الله من نور فلا جن و لا بشر
فذاك الهم لا ظل وقفت عليه تعتبر
أهاجك منزل أقوى و غير أبه القيود

3) قوة اللفظ للتعبيرية عن معنى [6] ، و بعد و ذلك جليا في قوله :

محبا طوى كشحا على الزفرات و إنسان عيني غاص في غمرات
فيامن بعينه سيقامى و صحتي و من في يديه ميتتي و حياتي
بحبك عاشرت الهموم صيابه كأني لها ترب وهن لذاتي
و خذي أرض للدموع و مقلتي سماء لها تنهل بالعبرات [1]

---

[2] ديوان ابن عبد ربه ، ص 62 .
[4] المرجع نفسه ، ص 79 .
[5] محمد عيسى موسى ، ابن عبد ربه و شعره دراسة و تحليل ، ص 185 .
[6] المرجع نفسه ، ص 199 .
[1] ديوان ابن عبد ربه ، ص 54 .

فإن الشاعر حين أراد أبراز الإرهاق الشديد الذي أصابه بسبب الحب لجأ إلى استخدام مفردات قوية عديدة تجمعت كلها في البيت الثاني و نلاحظ ذلك في الألفاظ " الزفرات ، الغمرات ، الهموم ، الصبابة " تتخللها ألفاظ و عبارات دقيقة لتخفيف حدتها كقوله " محب طوى ، إنسان عيني ، بحبك ، ترب الداني " إذا اللغة عند ابن عبد ربه قوية في لين و مثبتة و سهلة و قريبة إلا أنها ممتحنة .

الألفاظ :

الصناعة التي ظهرت بوادرها في شعره لا تنقص شيئا من القيمة الفنية ، و قد ابتعد عن التكلف و لم يوغل في الزخرفة و التألق فجاء شعره وسطا بين الأسلوب التقريري و قد كان سائد قبله و الأسلوب المعتمد على الصناعة و الإكثار من المحسنات اللفظية التي شاعت من بعده و لا تبالغ إذا اعتبرناه معلما من معالم السيرة الأدبية في الأندلس ووصفناه على رأس المدرسة التي تبنت الاتجاه المتجدد الذي اهتم أكثر بسلامة التعبير ، و تعمد اختيار الألفاظ ، و استعمال التراكيب السلسلة و هي عناية ارتفعت بالشكل درجة ، ووضعته في مستوى المضمون و لم تقصر عنه [2] أما التراكيب فقد بلغ عليها الجودة في النظم و العمق في الدلالة مع الوضوح [3] .

كل هذا دل على أهمية المكانة التي تبوأتها اللغة كأداة للتعبير و بلوغها مرحلة النضج على يده.

الصورة :

- الصورة الأولى التي تستوقفنا في هذا المجال هي صورة جميلة يمكن اعتبارها من صور ابن عبد ربه الطريفة ، و قد عمد فيها إلى تصوير حادثة واقعية ممزوجة ، بالخيال الذي يتم عن روح مرحة ، و ظل خفيف يتمتع به الشاعر كقوله :

يامن عليه رداء البأس و الجود من جود كفك يجري الماء في العود

لما تطلعت في يوم الخميس لنا و الناس حولك في عبد بلا عبدا

و بادرت نحوك الأبصار و اكتملت بحسن يوسف في محراب داوود [4]

صنع ابن عبد ربه هنا لوحة فنية رائعة ، بعد أن مهد لها ببيتين ثم ابرزها في البيت الثالث الذي جاء جميلا معبرا و تدل الصورة في الأبيات التالية على المقدرة الفائقة التي يتمتع بها ابن عبد ربه في ربط المعاني التي يقصد التعبير عنها و اختيار ألفاظه بعناية لتخرج الصورة في النهاية محكمة النسيج [1] .

---

[2] الموسوعة العربية العالمية مؤسسة سلطان بن عبد العزيز آل سعود الخيرية .

[3] المرجع نفسه .

[4] ديوان ابن عبد ربه ، ص 54 .

[1] إيمان الجمل ، المعارضات في الشعر الأندلسي ، ص 113 – 114 .

ودعتني بزفرة و اعتناق ثم نادت متى يكون التلاقي؟
و تصدت فأشرق الصبح منها بين تلك الجيوب و الأطواق
يا سقيم الجفون من غير سقم بين عينك مضرع العشاق
إن يوم الفراق أفضع يوم ليتني مت قبل يوم الفراق [2]

و لعب الخيال دورا كبير في تحسين الصورة و هذا جلى في البيت الثالث في المثال السابق .

و قد يأتي بالصورة القديمة المتبدلة فيبدع فيها بعد أن يقوم بعملية تجديد تراكيبها ليعرضها في ثوب جديد كما يفعل الرسام الماهر في عملية نسج الألوان و دراستها للتعبير بها و هو ما يلاحظ في الأبيات التالية : حين عبر بصورة جد مبتكرة و يتمثل الجديد في ابرز تلك العلاقة بين الصورتين مثل:

و أزهر كالعيوق يسعى بزهراء لنا منها داء و برء من الداء
ألا يأبى صدع حكى العين عطفه و شارب مسك قد حكى عطفه الداء
فما السحر ما يعزى إلى أرض بابل و لكن فتور اللحظ من طرف حوراء
و كف أدارت مذهب اللون أصفرا بمذهبه في راحة الكف صفراء ! [3]

و يجمع كثيرا و ببراعة بين أكثر من صورة ليترك المجال واسعا للتأمل في تغيير و تأويل المعنى البعيد و تخيل ما أمكنه الخيال لاستكشاف المعنى الذي لا يريد الإفصاح عنه مثل:

ينشر الدر في المسامع نشرا بين در منظم مشتاق
وافتضضنا من العواتق بكرا نكحت أمها بغير صداق
ثم بانت و لم تطلق ثلاثا لم تبن حرة بغير طلاق
ديننا في السماع دين مد نى و في شربنا الشراب عراقي [4]

يقول ابن عبد ربه كذلك :

إذا ابتسمت فدر التغير منتظم و إذا نطقت فدر اللفظ منثور
خل الصبا عنك و احتم بالنهى عملا فإن خاتمة الأعمال تكفير

[2] ديوان ابن عبد ربه ، ص 123 .
[3] المرجع نفسه ، ص 144 .
[4] ديوان ابن عبد ربه ، ص 124 .

الخير و الشر مقرونان في قرن فالخير متبع و الشر محذور [1]

و هذه صورة قريبة جدا في ظاهرها ، على أننا جد أن في إمكانها إظهار التناسق و التوافق أو التكامل الذي يريده الشاعر لأنه ذهب إلى إبراز العلاقة بين الجمال الحسي المتمثل في الإنسان و الجمال المعنوي الذي يبدو في حسن المنطق أو كأنه لا يريد الفصل بين الصورتين [2] و تظهر براعته حين يوفق في التصوير ، و يجعل التشبيه الذي يختاره لذلك ينبض بالحياة فتأتى الصورة رائعة في النص ، كما نجدها مفعمة بالحيوية و مثال ذلك الصورة في : البيتين التاليين ، لا تكمن أهميتها في التشبيه بالذهب و الفضة السوسن و الورود و إنما في المعنى اللطيف الذي أضاف اختياره لفظه جرى في البيت الأول تماثلها لفظة فأصاره في البيت الثاني فأصبحت الصورة في البيتين و كأنها متجددة أو كان الشاعر رسمها ساعة حدوثها فاحتفظت بسبب ذالك بكل حيويتها وصدق تعبيرها

بيضاء يحمر خداها إذا خجلت كما جرى ذهب في صفحتي ورق

كم سوسن لطف الحياء بلونه فأصاره وردا علـى وجناتـه

- كما يحلوا للشا عر أن يأتي بالمعنى و نقيضه ليؤكد الصورة التي يريد رسمها ، فحين يريد وصف البكاء و الأرق مثلا يلجأ إلى طريقته الخاصة في ذلك [3] .

الأسلوب :

ابن عبد ربه شاعر كبير من شعراء عصره ، بل يقف في مقدمتهم و قد كان المتقدمون يعجبون به و بخاصة بقدراته على النظم و محاولته الاهتداء إلى المعاني الجديدة و كان شاعرا مبتكرا غزير الشعر مقتدرا على الإطالة ، متصلا بأحداث عصره في السياسة و الاجتماع و الحياة و كان شعره صورة لشخصه كما كان صورة عن عصره [4] .

ابن عبد ربه شاعر قد مد الله في أجله فعاصر مدارس عدة و شاهد اتجاهات مختلفة و قد كان رجلا محبا للقراءة مكثرا من تتبع الأساليب و من هنا كانت حصيلته الأدبية غنية فشعره تتضح فيه

---

[1] ديوان ابن عبد ربه ، ص 74 .
[2] أحمد هيكل ، الأدب الأندلسي من الفتح إلى سقوط الخلافة ، ص 227 .
[3] المرجع نفسه ، ص 231 .
[4] إيمان الجمل ، المعارضات في الشعر الأندلسي ، ص 115 .

بسمتين واضحتين الأولى البساطة ، فأكثر شعره تتضح فيه بساطة الفكرة بحيث لا تظهر فيه محاولة لتعقيد أو تركب أو تفلسف كذلك أكثر صوره الشعرية تبدو بسيطة بحيث يسهل إدراكها و توشك أن تلمس و تحس ، ألفاظه تأتي أيضا جلية واضحة بحيث لا تحتاج غالبا إلى تفسير و كذلك أسلوبه[1]

فهو أسلوب بسيط و سهل لا يصعب على السامع فهمه ، و قد ترسم شعراء الحداثة الأندلسيون خطى أقرانهم المشارقة في أسلوبهم الجديد الذي يعالجون به موضوعاتهم الحديثة فيلاحظ أنه يميل إلى شيء من التفصيل و يتجه أحيانا إلى القص و تشبع فيه روح الدعابة و السخرية و التحرر ، إذا كان الموضوع لاهيا و تشبع فيه روح المرارة و الكآبة و التزمت إذا كان الموضوع جادا ثم هو غالبا أسلوب ترسم صوره من عناصر حضارية ، و تخلق أخيلته في آفاق غير آفاق البادية ، تؤلف لغته من ألفاظ بسيطة واضحة حسنة الإيقاع ، و تميل موسيقاه إلى البحور القصيرة و القوافي الرقيقة " [2].

أما السمة الثانية هي الغنائية و تعني بالغنائية المعنى الخاص و التي تتمثل في غلبة الجانب الموسيقى و اتضاح العنصر العاطفي و شيوع الرقة و السلاسة فأكثر شعره تتضح فيه تلك السمة و خاصة ما كان يتصل بموضوع غنائي بطبعه [3] .

بنية القصيدة :

من أهم عناصر التحديد الشعري ما يتعلق ببناء القصيدة ، فقد تخلص الشعراء المحدثون من المقدمات الطللية التي كانت لدى القدماء و تجاوزها إلى أطلال مستحدثة اقتضتها تطورات الحياة ، فكان هناك أطلال القصور في المدن تستقل بها لقصائد تامة ، و استخدموا مقدمات لقصائدهم في وصف الطبيعة في المدن و هي تتمثل في الحدائق التي افتتنوا بتنسيقها كما اتخذوها متنزهات لهم [4].

في شعر المحدثين عامة و ابن عبد ربه خاصة لا يوجد أثر للمقدمة الطللية و إنما ظهرت المقدمة الغزلية ، و قد ظهرت عنده في مرحلة و اختفت في أخرى ، حيث نجدها ظاهرة في مدائحه من الأمير عبد الله ، وقد كانت أشعاره في الناصر خالية منها [5].

إذا من مظاهر التجديد في القصيدة هو مخالفة القديم في الوقوف على الطلل و ذكر الحبيبة ووصف الرحلة ، و لكن بدؤوها بوصف الطبيعة ، أو الخمر أو الغزل ، هذا فيما يخص بنيته القصيدة.

الموسيقى :

---

[1] أحمد هيكل ، الأدب الأندلسي من الفتح إلى سقوط الخلافة ، ص 228 .
[2] المرجع نفسه ، ص 230 .
[3] المرجع نفسه ، ص 231 .
[4] المرجع نفسه ، ص 232 .
[5] إحسان عباس ، تاريخ الأدب الأندلسي عصر سيادة قرطبة ، ص 121 .

- يمتاز شعر ابن عبد ربه بسمتين هما البساطة و الغنائية و نعني بالغنائية جانب الموسيقى أي و البحور و الأوزان .

يقول ابن عبد ربه .

أقصرت بعض الإقصار عن شادن نائي الدار

صبري كما سار و لم أكن بالصبار

و قال لي باستعبار صبرا بني عبد الدار [1]

لا شك أن لهذه الأبيات التي نسجت على بحر " المنسرح " لها أثر في عذوبة إيقاعها و حلاوة أنغامها فهذا الوزن الذي جاءت عليه الأبيات يعد في تقدير الدكتور عبد الله الطيب المجذوب من الأوزان الصالحة للغناء لخفته و سرعة حركاته [2].

و لا يعني ذلك بطبيعة الحال أن موسيقى الشعر قائمة على الوزن وحده فهناك وسائل أخرى – غير الوزن ، ففي أبيات ابن عبد ربه تضافرت عوامل أخرى مع الوزن القصير الذي صيغت فيه فتولد عن ذلك كله موسيقى رشيقة رائعة للأذن مغازلة للنفس من ذلك جرس الالفاظ المترتب عن الرداءات التي تكررت تسع مرات و حروف المد التي فاقت الراءات عددا ، فمثل هذه الحروف تحدث رنينا جميلا في الأذن فتسحرها و لا يخفي أيضا ما و فره اشتراك بعض الألفاظ في بنائها الصرفي و أجوء الشاعر إلى الجناس كما في " أقصرت ، الإقصار ، صبرني الصبار " لا يخفى ما وفرته هذه الوسائل من طاقات موسيقية هائلة للأبيات [3] و الواقع أن ظاهرة شيوع الأوزان القصيرة أوسع من أن يتسع المقام لرصدها [4] .

الموسيقى الهادفة و التفعلية المطردة توفر للشاعر النفس الطويل الهادئ ، و يساعده على الأداء الجيد حتى يلقى الاستحسان الذي يهدف إليه ، فكان على الشاعر أن يختار الموسيقى التي تشد المستمع إليه .

إن الوضوح اللغوي هو السمة التي تطبع الأبيات فليس فيها لفظة تلبس المعنى بقول ابن عبد ربه كذلك في بحر المجتث " من البحور القصار القليلة التي يحسن فيها تطويل الكلام للأطرب و الإمتاع " [1] .

---

[1] ديوان ابن عبد ربه ، ص 87 .
[2] محمد عيسى موسى ، ابن عبد ربه و شعره دراسة و تحليل ، 199 .
[3] المرجع نفسه ، ص 187 .
[4] المرجع نفسه ، ص 188 .
[1] عبد القادر هنى ، مظاهر التجديد في الشع الأندلسي قبل سقوط قرطبة ، ص 96 .

الخـــاتـــــمـــــــــة

ليست الخاتمة نهاية مطاف هذا العمل لكنها عبارة عن نتاج فكرة معينة تشغل الباحث و المهتمين بها و بلورة لمفهومها و توضح أهمية هذه الفكرة في ميدان الموضوع و الذي يبحث فيه و أهم النتائج المتوصل إليها بما أن الشعر هو تاريخ العرب فقد عبر الأندلسيون عن واقع حياتهم بواسطته ، فكانوا يصفون الطبيعة ويتغزلون بالحبيبات ، بالإضافة إلى اللهو و المجون إلا أن الشعر الأندلسي ارتبط ارتباطا وثيقا بالمشرق فظهرت مجموعة من الاتجاهات الأدبية منها الاتجاه المحدث الذي انتقل إلى الأندلس على يد عباس بن ناصح و هذا عندما التقى بأبي نواس فأعجبه شعره فقام بنقله إلى الأندلس ، فكان لهذا الاتجاه أثرا كبيرا فسار فيه مجموعة من الشعراء منهم يحيا بن حكم الغزال ، ثم ابن عبد ربه وهو من الشعراء المجددين في فترة الإمارة وقد عرف شعره بالممحصات وهي مجموعة من القصائد قالها بعد توبته نقض بها شعره في الصيغر إلا أن شعر ابن عبد ربه ضاع معظمه ولم يصلنا منه إلا نذر قليل وقد اهتم هؤلاء المحدثين بعدة أغراض منها الطبيعة و المجون ، الغزل الشاذ ، الزهد خاصة الذي عبروا به عن توبتهم كما شمل هذا التجديد الأغراض شمل اللغة و الأسلوب و الصورة كذلك وقد كان لهذا الاتجاه أثر كبير في الأندلس

قائمة المصادر المراجع

1. إبن الأبار ، إعتاب الكتاب ، تحقيق صالح الأشر مجمع اللغة العربية دمشق 1961 .
2. ابن حزم الأندلسي ، طوق الحمامة ، تحقيق أحمد مكى دار المعارف ، مصر ط 3 . 1980 .
3. إبن حزم جمهرة انساب العرب ، تحقيق عبد السلام هارون دار المصارف القاهرة 1962
4. ابن عبد ربه وشعره ، دراسة وتحليل محمد عيسى موسى إشراف صيام زكريا 1985.
5. أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبى بكر بن خلكان وفيات الأعيان و أبناء الزمان المجلد 7 ، دار صادر ، بيروت ، دط 1994
6. أبي منصور عبد الملك النيسابوري ، يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر ، ج2 ، دار الكتب العلمية ، ط1 ، 2000
7. أحمد هيكل الأدب الأندلس من الفتح إلى سقوط الخلافة دار المعارف ط 14 . د ت
8. أحمد أمين ظهر الإسلام ، دار الكتاب العربي ، بيروت ط 5 ، 1969 ج 3
9. أحمد حسن الزيات – تاريخ الأدب العربي ، دار المعرفة ، ط8 ، 2004
10. أحمد مختار العبادى ، الصقالبة في الأندلس ، المعهد المهرى للدراسات مدريد 1953 .
11. أحمد مختار العبادى في تاريخ المغرب و الأندلس دار المعارف الجامعية د ط ، 2005
12. أحمد بن محمد بن عبد ربه ، العقد الفريد ، تحقيق أحمد أمين ، ج1 ، لجنة التأليف و الترجمة ط3 ، 1965.
13. الإمام أبي نصر فتوح بن عبد الله الأزدي الحميدي جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس دار الكتاب العلمية بيروت لبنان ط1 1997
14. إيمان الجمل – المعارضات في الشعر الأندلسي ، دار الوفاء ، ط1 ، 2007
15. جودت الركابي في الأدب الأندلسي دار المعارف مصر ، ط4 ، 1975
16. رضوان البارودي – دراسات و بحوث في تاريخ و حضارة المغرب و الأندلس ، مركز الإسكندرية للكتاب ، دط ، 2007
17. رضوان البارودي دراسات وبحوث في التاريخ وحضارة المغرب و الأندلس مركز الأسكندرية د ط ، 2007 .
18. الربعى بن سلامة ، الأدب المغربي و الأندلس بين التأسيس و التأهل و التجديد دار بهاء الدين ط 1 . الجزائر 2009 .
19. السيد عبد العزيز سالم . تاريخ المسلمين و آثارهم في الأندلس من الفتح إلى سقوط الخلافة د ط، د ت
20. شهاب الدين أحمد بن محمد المقرى نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب ، تحقيق إبراهيم الأبيارى . لجنة التأليف و الترجمة ج 1 ط 1 1963
21. شوقي ضيف – الفن و مذاهبه في الشعر العربي ، دار المعارف ، ط11 ، 1987
22. شوقي ضيف – في تراث الشعر و اللغة ، دار المعارف ، د ط ، 1987
23. شوقي ضيف –عصر الدولة و الإمارات الشام ، دار المعارف ، ط2 ، 1990
24. شهاب الدين أحمد بن محمد المقرى ، أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض تحقيق إبراهيم الأبياري لجنة التأليف و الترجمة القاهرة ج 2
25. صلاح جرار – قراءات في الشعر الأندلسي ، دار المسيرة ، ط1 ، 2007

26. عباس الجرارى . الأدب المغربي من ظواهره وقضاياه مطبقة المعارف الجديدة . الرباط 1986
27. عبد الحكيم الوائلي – موسوعة شعراء الأندلس ، دط ، 2000
28. عبد العزيز عتيق الأدب العربي في الأندلس دار النهضة العربية د ط ، د ت
29. عبد القادر هنى ، مظاهر التجديد في الشعر الأندلسي قبل سقوط قرطبة دار الأمل د ط د ت.
30. عبد الواحد ذنون طه . تاريخ العرب و عضارتهم في الأندلس المدار الإسلامي ط 1 . 2004
31. عصام محمد شبارو الأندلس من الفتح العربي الموجود إلى الفردوس المفقود ، دار النهضة العربية لبنان ط1 . 2002.
32. عيسى خليل محسن أمراء الشعر الأندلسي ، دار جرير ، ط1 ، 2007
33. محمد حسن قجة – دراسات في التاريخ و الأدب و الفن الأندلسي ، الدار السعودية ط1 ، 1985
34. محمد رجب البيومي – الأدب الأندلس بين التأثير و التأثر مكتبة ، الدار العربية للكتاب ، ط1 2008
35. محمد رضوان الداية ديوان ابن عبد ربه دار الفكر دمشق ط3 2003
36. محمد زكريا عنانى في في الأدب الأندلسي ، دار المعرفة الجامعية ، دط ، دت
37. محمد سعيد دراسات الأدب الأندلس منشورات جامعة سها ط1 .2001
38. محمد شهاب العاني – الشعر السياسي الأندلسي في عصر ملوك الطوائف ، دار دجلة ، ط1 2010
39. مصطفى السيوفي – تاريخ الأدب و الأندلس الدار الدولية لاستثمار الثقافة ، ط1 ، 2008 .
40. حنا الفاخورى ، الموجز في الأدب العربي و تاريخه الأدب في الأندلس و المغرب أدب الانحطاط ، دار الجيل بيروت ج3 ط2 . 1991 .
41. الموسوعة العربية العالمية مؤسسة سلطان بن عبد العزيز آل سعود الخيرية ، النسخة الإعلامية ، نحو 20000 من الصور و الخرائط و الإيضاحات
42. ناطق صالح مطلوب تاريخ العرب و حضارتهم في الأندلس دار الأهلية د ط ، د ت
43. مارون عبود ، أدب العرب ، مختصر تاريخ نشأته و تطوره و سر مشاهير رجاله و خطوط أولى من صورهم ، دار الثقافة ، بيروت ، ط3 1979 م
44. وديع أبو زيدون ، تاريخ الأندلس من الفتح الإسلام حتى سقوط الخلافة في قرطبة دار الأهلية ط1 . 2005 .
45. يوسف عيد – دفاتر أندلسية في الشعر و النقد و الحضارة و الإعلام المؤسسات الحديثة للكتاب طرابلس لبنان 2006